14 me année No. 675

Lundi—10—6—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٧٥ « القاهرة فى يوم الإثنين ١٠ رجب سنة ١٣٦٥ — ١٠ يونية سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

مصادفات فى الطريق

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

نعم هى مصادفات فى الطريق

ولكنه طريق التاريخ لا طريق المدينة ، أو طريق الزمان دون طريق المكان ، وقد يحدث فى هذه الطريق ما يحدث فى كل طريق من المصادفات والمناقضات ، فيعيش الناس فى حى واحد ولا يلتقون ، ويلتقون وهم يعيشون فى أحياء لا يجمعها مكان

أيذكر القارىء كيف يتفق له أن يقضى السنين ولا يلاقى فى خلالها وجهاً من الوجوه التى تعود النظر اليها ، ثم تعرض له فترة من الزمن فإذا هو يستقبل ذلك الوجه أمامه حيث سار على غير موعد وعلى غير انتظار ؟

ذلك ما حدث لى فى طريق التاريخ مع « عمر الخيام » خلال الأيام الماضيات ، فما فتحت كتابا إلا أطل منه « الخيام » بصفحة من صفحات وجهه أو جانب من جوانب نفســه ، على تمدد الموضوعات وتباعد المناسبات . إذ كان من تلك الكتب ما أفتحه للمراجعة العاجلة فى مسألة من مسائل التصوف أو مسائل السياسة أو مسائل الفلسفة أو مسائل الأدب وما إليه . وكنت مشغولا بالشيخ الرئيس ابن سينا فما تممت لقاء الشيخ مرة إلا خرج لى الخيام فى بعض الطريق كأنهم يقيمون من عالم الأرواح فى عالم واحد ، أو كأنهم يحضرون معاً بدعوة واحدة على خلاف الآداب العصرية فى استجابة الدعوات .

تحدث العروضى السمرقندى فى « مقالاته الأربع » عن الفيلسوف ابن سينا وعن الفلكى عمر الخيام ، فروى عن كليهما الأعاجيب ، وكلاهما قد عاش زمناً فى إقليم واحد وإن تلاحقا بالزمان .

وراجعت بعض الأقوال فى تناسخ الأرواح فرأيت أناساً ممن يدينون بهذا المذهب العجيب يعممون التناسخ ولا يقصرونه على الحيوان والإنسان ؛ فانتقال الروح من رجل إلى امرأة أو من رجل إلى رجل نسخ ، وانتقالها من إنسان إلى حيوان مسخ ، وانتقالها من إنسان إلى نبات فسخ ، وانتقالها من إنسان إلى جماد رسخ ... وما من انتقال منها كما رأيت إلا وهو على قافية الخاء ، دون غيرها من حروف ألف باء ، وهو حرف لا يوجد فى معظم اللغات الأوربية ولغات الأمم على الإجمال . فكيف تسعفهم القافية يا ترى فى تلك الأمم إذا احتاجوا إلى التقسيم والترتيب فى أطوار هذا الانتقال العجيب ؟ وما بال أصحاب التناسخ يا ترى قد فكروا فى انتقال روح الإنسان ولم يفكروا فى انتقال الروح من الجماد إلى النبات أو من النبات إلى الحيوان ؟

إنهم لم يفكروا فى ذلك ولكن فكر فيه على نحو غير هذا النحو جماعة من شعراء « التطور » القديم ومنهم جلال الدين الرومى الشاعر الفارسى المشهور . فعنده كما يقول : « إن الإنسان

فى بداية أمره قد ظهر فى عالم الجماد ، ثم ترق من هذا العالم إلى عالم النبات ، ثم عاش هنالك شجرة من الشجر أو عشبة من العشب لا يذكر شيئاً مما كان فيه من تلك الحال المختلفة بين المعادن والحجارة الصماء ، وصعد من طبقة النبات إلى طبقة الحيوان فلم يبق فى ذاكرته أثر للطبقة التى كان فيها إلا ذلك الشوق الذى يميل به إلى الأوراق والأشجار ولا سيما فى إبان الربيع وازدهار الرياض ، كأنه الطفل الذى يهتدى إلى صدر أمه من حيث لا يدرى سر هذه الهداية … وشاء الله بعد ذلك أن يرفعه من زمرة الحيوان الأعجم إلى صورة الإنسان حتى بلغ ما نعلمه من القوة والعقل والمعرفة ، وما به من ذكر فى هذه الحال لمعيشته الأولى ، وإنه ليترك فى مصيره الأبدى ، هذه المعيشة التى هو فيها … »

فهذا انتقال من الرسخ إلى الفسخ إلى المسخ إلى النسخ على انعكاس فى ترتيب التناسخ الذى يقول به التناسخيون ولا يقول به الصوفية المتطورون ! …

والعجيب أن صاحبنا الخيام قد سلك بين هذه الزمرة وهذه الزمرة بشهادة أناس من الزمرتين ؛ فقيل فيه إنه من المؤمنين بالتناسخ كما قيل فيه إنه من المؤمنين بارتقاء الأرواح فى معراج الكمال إلى قدس الأقداس

زعموا أن الحكيم كان يتمشى مع مريديه عند مدرسة الحكمة والعلوم بمدينة نيسابور ، وكانوا يرمون بعض جدرانها وينقلون إليها اللبن والحجارة على ظهور الحمير . فأبى حمار منها أن يدخل دار المدرسة أى إباء ، وحاروا فى دفعه إلى الدار وهو مصر على الوقوف دون ذلك أشد الإصرار ، فلما رأى الحكيم ذلك منه تبسم ومال على أذنه يهمس بأبيات يقول فيها : أى هذا الذى ضل وعاد اليوم إلى مكانه وهو أضل سبيلا ! … إن أظافرك قد تجمعت فصارت حافراً ، ولحيتك قد استدارت إلى موضع الذنب ، فانتقلت من الأمام إلى الوراء … »

قالوا : فما سمع الحمار هذه الأبيات حتى عدل عن إبائه وأسلس قياده ودخل إلى الدار . وسأل التلاميذ أستاذهم عن سر ذلك الإباء ، وسر هذه الطاعة فقال : إن الحمار كان أستاذاً بهذه المدرسة فأبى أن يدخلها وهو دابة تحمل اللبن والحجارة وقد كان يدخلها وهو أستاذ يحمل الأسفار … فلما عرف أننا عرفناه كان له بعض الأنس بهذه المعرفة فأطاع

والحمير والله مساكين مظاليم

إنما الحمير حقاً أولئك الذين تناولوا هذه القصة فشكوا فيها تارة وأثبتوها تارة أخرى ليتهموا الرجل بمذهب تناسخ الأرواح .

ويحضرنى هنا قصة الصحيفة الإنجليزية التى أعلنت عن معرض للحمير يقام فى حديقة هايد بارك بعد أيام ، وكان موعد المعرض الزعوم موافقاً لليوم الأول من شهر إبريل ، ولم يفطن له قراء الخبر إلا ساعة أصبحوا فى الحديقة ولم يروا هنالك حميراً … فعلموا أنهم هم الحمير !

وما نخال الخيام إلا قد غلبه عفريت السخر فى تلك اللحظة فسخر بنفسه وسخر بمريديه ، وقال لهم إنهم كلهم يدخلون الدار ويحملون الأسفار !!

* * *

وشاءت المصادفات أن يصل البريد الأمريكى فى هذه الآونة وفيه طوفان من كتب الجيب التى طبعت قبل ذلك فى مختلف الأحجام بمختلف الأثمان

ومنها رباعيات الخيام

وهى على صغر الطبعة قد جمعت الصيغ المتعددة التى نقحها مترجم الرباعيات وأعاد تنقيحها فى كل طبعة جديدة من طبعاتها الكثيرة …

ولا جرم يحتفل الأمريكيون بالرباعيات وهم يعيشون اليوم على مذهب الخيام ، ويخرجون لميادين الحرب قائداً يسمى «عمر» تيمناً بسيرة الشاعر الفيلسوف !

فقلت : الخيام . الخيام . الخيام .

أفى كل مكان يسنح لنا طيف الخيام فى هذه الأيام ؟

وفتحت الصفحة على رباعية يقول فيها : « إن الكرم قد أنبت عرقا يلتف به كل كيانى … فدع الصوفى يسخر ما يشاء ، فإننى أسبك من معدنى الخسيس مفتاحا يفتح الباب الذى يطرقه ولا يجاب . »

وقلبت صفحة أخرى فرأيته يقول : « هذه الكرمة التى أنبتها الله ، من ذا الذى يعاف عصيرها ؟ وهذه المناقيد إن كانت شبكة من الشباك فمن ذا الذى وضعها هناك ؟ »

وفى صفحة أخرى يقول : « إلى الكون دخلت كالماء الدافق ولا أدرى لماذا . ومن الكون خرجت كالهواء الخافق ، فهل أدرى لماذا ؟ … »

ومهما تقلب من صفحة فى الرباعيات فما تخليك هنا أو هناك من بعض هذا المعنى أو بعض ذاك

قلت والله لقد ظلموك يا صاح بالتصوف كما ظلموك بتناسخ الأرواح . وصدق مترجمك فتزجرالد وهو أدرى بترجمة نفسك وشعرك من أولئك الرواة والمؤرخين . فما كانت خمرتك بالخمرة الإلهية ، وما كانت عبارتك بالإشارات الخفية ، ولكنك كما قال المترجم الأمين كنت تنظم الشعر فى ماء المناقيد ، وكان نظمك فى معناه أكثر من شرابك إياه ... وذلك فصل المقال فيما بين قولك وعملك من الاتصال

***

وأعجب العجب أنى فتحت مجموعة من الرسائل الفلسفية لابن سينا وغيره فظهر لى الخيام بين دفتى تلك الرسائل يسألونه عن سر الوجود كله وهو حائر فى سر وجوده لا يعلم لماذا أقبل كالماء وانصرف كالهواء

سأله القاضى الإمام أبو نصر النسوى تلميذ ابن سينا « عن حكمة الخالق فى خلق العالم خصوصاً الإنسان وتكليف الناس بالعبادات . »

فحاول الشيخ أن يروغ كعادته ولم يجد مهرب أمان ، ولا عذراً مقبولا للزوغان . وكيف يجهل ما يسألونه عنه وهو عندهم وعند أبناء زمنه جميعاً حجة الحق ، فيلسوف العالم ، نصرة الدين ، سيد حكماء الشرق والمغرب ، نادرة الزمان ؟ ...

على أن الرجل قد أجاب بما ليس يعدوه جواب ، فرجع إلى سبب الأسباب وهو واجب الوجود : ما من سبب إلا وله سبب إلا واجب الوجود فلا سبب لوجوده ولا لصفاته ... وإلا لزم التسلسل بالأسباب إلى غير انتهاء ، وهو فى عقل الإنسان مستحيل ...

والوجود فيض الجود الإلهى . فلماذا جاد بالوجود على المخلوقات ... ؟

الجواب أنه جاد لأنه جواد ، ولا تعليل لصفاته كما لا تعليل لذاته . لأن التعليل يرجع بنا إلى سبب وراء واجب الوجود ، ولا سبب هناك

ثم قال : « فإن قال قائل لم خلق التضادات المتمانعة فى الوجود ؟ فيكون الجواب عنه أن الإمساك عن الخير الكثير من جهة لزوم شر قليل هو شر كثير ، والحكمة الكلية الحقة والجود الكلى الحق أعطيا جميع الموجودات كمالها الذاتى لها من غير أن يبخس حظ واحد منها . إلا أنها بحسب القرب والبعد متفاوتة فى الشرف ... لا لبخل من جهة الحق عز وجل ، بل لاقتضاء الحكمة السرمدية ذلك »

أجل هكذا يقول الخيام

ولو سمعه قراؤه المفتونون برباعياته من فتيان أمريكا وأوربة وفتياتها — لما صدقوا أن صاحبهم يسأل عن هذا ، ولا صدقوا إن سئل عنه أنه يجيب بغير الكلمة التى تلخص جميع الرباعيات .

من يدرى ؟! من يدرى أيها الناس ؟

والناس قد حيروه حقاً بين زاعم أنه ينكر الروح وزاعم أنه يثبتها للإنسان والحيوان فى الحياة وبعد الممات ، وزاعم أنه يعلم سر الوجود كأنه من أصفياء مبدع الوجود .

وأخشى ما أخشاه أنى صرفت الحكيم الظريف بهذا المقال فلا ألقاه كما كنت ألقاه فى كل منعطف طريق من مكامن التاريخ ... !

عباس محمود العقاد

من صميم الحياة :

طبق الأصـــــل ...

[يا أيها الآباء : إن الذي لا يعتبر بغيره ، يصير هو عبرة للناس]

للأستاذ على الطنطاوى

إن الحياة تؤلف قصصاً ، يعجز أبرع أهل الفن عن توهم مثلها ؛ ولكن الحياة لا تذيع (مؤلفاتها) ولا تعلن عنها ، فتبقى (مخطوطة) مخبوءة لا يصل إليها ولا يقرؤها إلا رجل حديد البصر ، طويل اليد ، ذو جلد على البحث وصبر على التنقيب ، ولست ذلك الرجل ، ولا أنا من عشاق المخطوطات ورواد المباحث[1] ، ولكن الأيام ألقت هذه القصة فى طريقى ؛ فوجدتها (مطوية) فى سجلات محكمة من المحاكم ، مقطعة الأوصال ، مفرقة الأجزاء ، فألصقت أوصالها ، وجمعت أجزاءها و (نشرتها) فى الرسالة ، ومالى فيها إلا الرواية !

* * *

بدأت هذه القصة فى مخفر للشرطة فى مدينة (كذا) فى ظهيرة يوم وهج عصيب من أيام تموز[2] تسعر فيها الجو ، وأقفرت الشوارع من السالكين إلا سالكا بسيارة تطوى له الأرض ، أو عربة تخب به خيولها يقطر العرق من صدورها وأعرافها ، أو صاحب حاجة مفلساً يخوض الهاجرة ماشيا فى قضائها ، أو موظفا مسكينا انصرف إلى منزله لا يجد إذا كان أمينا أجرة سيارة ولا عربة ولا حمار لو أنها كانت تؤجر الحمير الآن ، كما كانت تؤجر من زمان ...

وكان فى المخفر أربعة من الشرطة قد نزعوا أرديتهم ، وحلوا مناطقهم ، واستلقوا على مقاعدهم فى كسل وارتخاء ، واستسلم كل لأفكاره وهمومه ، أو انطلق سادراً فى أودية الأحلام ؛ فذو العيال منهم يفكر فى هم البيت ومشاكل النفقات ، والخبيث يكد ذهنه يفتش عن شيء برانى[1] وما أهون الوصول إليه فى هذه الأيام التى فشت فيها الرشوات والبراطيل[2] حين غلت الأشياء كلها ولكن رخصت الضمائر ، وسعرت الحكومة الأشياء كلها وتركت الذمم ، والعزب التقى يدارى من شهوته مثل لذع النار تؤرثها مشاهد الطريق ، ويحبسها خوف الله والعار ، إن كان قد بقى فى (العشق ...) اليوم من عار .

والماجن يتعلل بذكريات ليلة فاجرة ويتلمظها[3] ويلتذ بالتفكير فى فجور جديد ... وكانوا سكوتا لا تسمع منهم إلا أغنية الصمت التى ليس لها آخر ، يقطعها بين الفترة والفترة سؤال مختصر يلقيه أحدهم بصوت خافت تتعثر كلماته وهى سائرة فى الفضاء من الضجر والملل ، يجيب عليه الآخر بهزة من رأسه أو بكلمة مفردة يعضها بين أسنانه ويبتلع الحرف الأخير منها ، يعود السكون كما كان !

ويفتح الباب .

ويرفع الشرطيون الأربعة رؤوسهم ينظرون من هذا المتطفل الثقيل الذى دخل عليهم فى هذه الساعة ، وكل واحد منهم يتمنى أن يكفيه غيره مشقة صرفه والتخلص منه ، ولم يكن فيهم من ينشط لعمل ولا لحديث ؛ ولكنهم لا يرون القادم حتى يطير الخمول من نفوسهم ، ويدب النشاط فى أجسامهم ، وينسى ذو العيال هم البيت ، وطالب الرشوة لذة المال ، وينسى (العاشق) المحروم فتاة أحلامه ، وتتعلق أبصارهم بالقادم وكأن الدهشة قد ثبتتها فى محاجرها فهى لا تتحرك ولا تطرف ، ثم ينظر كل فى ثيابه فيصلح منها ما يستطيع ، ويمد يده إلى قميصه فيحكم زيقه[4] وإلى ردائه فيرتديه ، ويقف مستعداً كأنما قد فاجأه المدير العام ، ويتم ذلك كله فى لحظات !

ولم يكن القادم المدير العام بل تلك الفتاة الجميلة المتكبرة التى كانت تمر بهم كل يوم شامخة الأنف تنظر دوما إلى الأمام ،

(١) بحث فتش ، والباحث فى الأصل السكار المجهول .

(٢) تموز هو الاسم العربى لشهر يوليو ، ولا يعرف بغيره فى الشام كله والعراق ؛ أما الحجاز ونجد فأشهرهم قرية وتواريخهم هجرية .

(١) شيء برانى من العامى الفصيح . وفى الخبر من أصلح جوانيه أصلح الله برانيه ، انظر القاموس .

(٢) البرطيل : الرشوة فصيحة وبرطلته رشوته فتبرطل ، فهى من العامى الفصيح

(٣) وعامة الشام يقولون تلمض .

(٤) زيق القميص من العامى الفصيح .

لا تتنازل أن تلقى عليهم نظرة واحدة ... وكانت تترك وراءها كلما مرت عبقاً من الروعة والسحر ، فقد كان جمالها من الجمال الشرس الأخاذ الذى يروع الناظر إليه ويشدهه حتى يتركه وكأنما قد أصابه دوار حلو وخدر لذيذ ...

فإذا ابتعدت وصحوا من سكرة جمالها ، عادوا إلى الحديث عنها فأنفقوا فيه نهارهم . ولقد تسقطوا أخبارها فلم يسمعوا عنها ما يريب ، برغم هذه الثياب (الفظيعة) التى كانت تخرج بها ، ثياب أزهى من زهر الربيع، وأرق من دين الراقصات ، وأقصر من عمر الحب ! غشاء من الحرير إلى ما فوق الركبتين ، يبرز ما تحتهما ويصور ما فوقهما ، والذراعان باديتان والشعر يتموج على الكتفين خصلا تزرى بحر العسجد وخالص الحرير .

ووقفت الفتاة تصوب فيهم نظرات متعالية ثم قالت عابسة زاوية ما بين عينيها ، ضامة شفتين كزر الورد على فم لا يتسع للكلمات ، لا يصلح إلا للقبل :

— إن أمام باب المخفر شاب وقح لا يزال يلاحقنى كلما مشيت فى الطريق ، فأرجو سؤاله عما يريده منى !

وعرفوا الذى يريده منها ، وكانوا فى قرارات نفوسهم يريدون مثله ، وكانوا قوماً همجاً [١] متأخرين ذوى عقول قديمة رجعية . لا يفهمون من تكشف البنات إلا (ذلك) المعنى العتيق جداً ... لا يعلمون أن الدنيا تقدمت ، وأن البنت تتكشف على الساحل للسباحة ، وفى المدرسة للرياضة ، وفى الطريق وفى الترام للصحة وحدها فقط ... لاغير ...

ولكنهم أسرعوا مع ذلك إلى الباب ليقبضوا على هذا (الوقح) الذى تطاول إلى سماء الجمال ، فأراد أن يدنس الكوكب الذى تستنير به قلوبهم ، ولا يجرؤون على التأميل فيه والتفكير فى الوصول إليه ، وكل منهم يود أن يسبق إلى اتخاذ اليد عند الآنسة الفتانة المتكبرة ذات الثياب (الفظيعة) ! وجاءوا به .

***

وكان شابا نحتا خليماً ، تحس إذا نظرت إليه أن رجولته كورقة النقد المزورة لها لونها ونقشها ، ولكن ليس لها قيمتها ، ولا تشترى لصاحبها إلا مكانا فى السجن ، كما أن رجولة هذا الشاب لا تكسبه إلا موضعاً فى جهنم ... وكان الشرطيون الأربعة يحفون به بقاماتهم المديدة ، وأجسامهم التى تتفجر بالقوة ، كما تحف أربعة سنانير بفأر هزيل ، ينظرون إليه بازدراء واحتقار ، أهذا هو المخلوق الذى يطمع فى هذه الآنسة ويطمح إلى أن يكون (رجلها) من دون الرجال ؟ !

وزجروه وأوعدوه ، ولكنه لم يزدجر ولم يخف ، ولبث ينظر إلى الفتاة بعيون ثعلب ، ويبتسم ابتسامة قرد مهذب ، فلم يكن من أحد الشرطيين إلا أن لطمه (بيد ما وقف عليها طبيب) لطمة تركت على وجهه من آثار الأصابع خطوطا يكاد ينبثق منها الدم ، وترنح ومال ، ولكنه تصبر واستند على نضد ، وقال لها :

— أرضيك هذا يا آنسة ؟ أتحبين أن أفضح السر ؟

فانتفضت وقالت :

— أى سر أيها الكلب ؟ أيها السادة : أرجوكم وضع حد لهذه المهزلة !

فكروا عليه بالضرب واستاقوه إلى (القفص) ، فلما ابتعد عن الفتاة ، قال لهم :

— أنا أحذركم . إنكم تعتدون على بغير (موجب قانونى). إن هذه البنت برغم ما تظهره من التسامى ... إنها عشيقتى ، وأنا أعرف كل بقعة فى جسمها ، وآية ذلك أن فى مكان كذا منها علامة كذا ، وقد قبضت منى ليلة أمس إذ باتت عندى إلى الصباح ، ثلاثين ليرة ذهبية .

***

ابتعد الشرطيون فتشاوروا فرأوا أن يدعوا أباها ، وكان تاجراً كبيرا وثريا من أثرياء الحرب الذين أصابوا فيها غنى فاحشاً جعلهم ينتقلون نقلة واحدة إلى منازل (الأكابر ...) ، فتركوا حياة الفقر ، ولكنهم تركوا معها حياة العفاف والستر ، وقلدوا الأكابر فى مناعمهم ، ولكنهم قلدوهم أيضا فى رذائلهم . وأكثر ما تعيش الرذيلة راسبة فى القعر أو طافية على الوجه ، فلا تراها إلا فى أسفل السلم الاجتماعى أو فى أعلاه ، أما الأوساط فهم الأخيار وهم الصالحون ...

واستبقوا الفتاة والشاب فى المخفر ريثما يحضر الأب .

---

(١) من العامي الفصيح .

ووقفت السيارة الفخمة بالباب ، ودخل أخو البنت جاء به الرسول إذ لم يجد والدها ، فلما أبصر أخته فى المخفر وأبصر معها هذا الشاب المخنث زاغ بصره وحدثه قلبه بالشر ، فانتحى به الشرطى ناحية ونفض إليه خلاصة القصة ، فلم يتمالك أن جرّ أخته فأدخلها غرفة خالية عند الباب ، ووراها وهى متعجبة تبصر ولا تفهم ، وتحسّ منه الغضب ولا تعرف السبب ، ومدّ يده مسرعا فرفع ثوبها الرقيق القصير قبل أن تنتبه له أو تدرى ما هو صانع . فلما رأى العلامة ، أحسّ أن دماغه قد غلى فجأة كما يغلى الماء فى إبريق الشاى ، وثار كما يثور الرجل ثم شعر أنه قد (تبخر[1]) من رأسه وأنه انقلب مجنونا ... ودارت به الأرض وتداخلت المرئيات ونسى هذا (التجدد) الذى استحبه ودعا إليه وارتضاه لأخته وزوجته كما ارتضاه أبوه ... ونسى أنهم هم الذين اشتروا للبنت هذه الثياب ، وهم ألبسوها إياها بعد الملاءة السوداء، والنقاب الصفيق ، وهم أرسلوها إلى المدرسة (الحديثة) التى أنشأتها الجمعية النسائية ... وهم تركوها تقرأ على الشباب وتجالس الأغراب ، وهم بعثوا بها وحدها تقيس الطرقات وتجاور فى السينمات ... وأحسّ بالجرح فى قلبه ، وانصبت نقمته على الفتاة وحدها ، فبصق عليها ولعنها ، ثم رفع يده فصك هذا الوجه الجميل صكة طنت فى آذان الشرطيين فأحسوا حرّها على وجوههم وحزّها فى قلوبهم ، إذ قد فهموا منها أن قصة هذا (المخنث) صحيحة ، وأن الفتاة التى حسبوها بطهرها وكبرها وسحرها أمنع من نجم السماء ، قد بذلت أعزّ شىء عليها لهذا ... المخلوق !

وأقبل الأخ فأعطى الشاب ثلاثين ليرة ذهبية من غير أن يلقى عليه نظرة أو يقول له كلمة ، ثم استاق أخته وخرج ، ولم يبصروا منها إلا قفاها ، ولكنهم أبصروها مطأطئة الرأس ، قد ذهبت عنها تلك الكبرياء ، وبطل ذلك السحر ، أو أن إيمانهم بزانها خيل إليهم ما زعموا أنه رأوه ...

ومضت السيارة بالأخت وأخيها .

* * *

تركها فى مقعد السيارة كأنما هى عِدل ملقى ، وقاد السيارة إلى الضيعة المنزلة حيث كان أبوه ، فأسرع إليه فسارّه وأعلمه بالأمر ، فسرعان ما امحى طلاء (التمدن) الكاذب عن هذا التاجر الذى أعطاه الله مالا ولم يعطه عقلا ولا دينا شأن أكثر أغنياء الحرب . وسرعان ما عاد ذلك العربى الذى كان يئد البنات خوف العار، والذى تحوى لغته كلمة لا يمكن أن تترجم لأنه ليس فى لغات الناس ما يقابلها ويحمل معانيها هى كلمة : العرض ، وكذلك يبين إذا جد الجد ، وكانت النتيجة الضرورية لهذه المقدمات (التى هى التكشف والانطلاق والاستهتار) ... أننا لا نزال كعرب الجاهلية فى غيرتنا ، وأن هذا التجديد تمويه ، وقديما قال المثل الأوربى : حك جلد الروسى يظهر لك التترى !

ثم عاد فجاء بالبنت ؛ فلما رأت أباها ، انفجرت عواطفها التى كبتتها المفاجأة الظالمة التى فاجأها بها أخوها وأجهشت وألقت بنفسها بين ذراعيه ، وقالت : أبى ! وحسبت أنها بلغت الحمى الآمن . وإذا بالأب يدفعها فتسقط ، ثم يركلها بقدمه ويقول :

— أنا لست أباك أيتها العاهرة ، لعنة الله عليك !

فتجحظ عيناها دهشة ، ثم تثور مرة واحدة ، وتصرخ :

— مالكم ؟ هل جننتم ؟ إذا كانوا قد حكوا لكم شيئا ، أو وشوا وشاية فاسألونى وتحققوا ، فإن ...

فيقول الأب :

— أولك عين تحدق ، ولسان يناقش يا ملعونة ؟ قولى : ما هى صلتك به ؟ قولى الحق وإلا ذبحتك كما تذبح النعجة ...

— من هو الذى تعنيه ؟ إنى لا أفهم !

فيقول الأخ :

— لا تفهمين يا فاجرة ؟ الكلب الذى دفعت له ثلاثين ليرة بدلا عن التى قبضتها ثمن بكارتك وعرضك وشرفك ...

— أنت والله مجنون ، أى ثلاثين ليرة ؟ وما دخل عرضى وشرفى ، وأنا لم أكلمه فى عمرى ، ولم أعرفه .. والله والله إن ...

— لا تذكرى اسم الله بلسانك الدنس .

ويهجم عليها فيشدها من شعرها ، ويخرج بها ... إعلانا لختام المحاكمة ، وثبوت الجرم !

* * *

ارتقب الشرطيون أياما فلم يروا البنت تمرّ بهم ، وطفقت

(١) كذلك يستعمل الناس كلمة (تبخر) ولم أجدها بهذا المعنى فى القاموس وما بين يدى الآن غيره .

أمها تسأل عنها فى المنزل ، ومعلمها يسأل عنها من المدرسة ، فيقولون للأم : هى فى رحلة مدرسية . ويقولون للمعلم : هى فى سفرة عائلية . وكاد الشرطيون ينسونها ، وتضيع صورتها فى مشاهد الحياة وهمومها ، وفرغت كأس الحديث عنها فلم يبق لهم ما يتساقونه ، فعادوا إلى صمتهم وتكاسلهم واستلقائهم على كراسيهم ... ولكن الشرطى (العاشق) الذى رآها تشبه فتاة أحلامه لم ينسها ... فكان كلما انتهى عمله فى المخفر يلقى بزته العسكرية ويلبس ثيابه المدنية ، ويتعقب ذلك (الشاب) يحصى عليه حركاته وسكناته ، ليضبطه (متلبسا بجـرمه) ويمسكه معها فلا يراه إلا منفرداً ... حتى كاد ييأس منه وينصرف عن ملاحقته لولا هذه المصادفة :

وجده مع فتية من لداته عند حلاق ، فدخل فقعد كأنه ينتظر دوره ليحلق ، فسمع منه حديثا خافتا ورأى على وجهه ابتسامة ظفر ، ثم أبصره يخرج لهم من جيبه الذهب ليروه ، نخفق قلبه وعلم أن الحديث عنها ، فتلطف ودنا وأصغى فسمعه يقول :

— « لا والله إنى لم أكلمها فى عمرى ، ولم أمس جلدها ولا أعرف اسمها ، ولكنها كانت بنتا جميلة فى السابعة عشرة ، وتلبس هذه الثياب القصيرة التى يهب عليها النسيم ، فيحركها فتكشف كل ما تحتها ، فألحقها عن بعد لأمتع البصر بما يبدو من خفايا حسنها . وكانت يوما على درج المدرسة ، وكنت واقفا تحت الدرج بحيث لا ترانى ، فانحنت لتصلح حذاءها انحناءة كشفت نصفها الأسفل كله ، وكانت تلبس (كلسونا) من الحرير الشفاف يوضع من صغره فى علبة كبريت ، ويصغر عن منديل ، فأبصرت هذه العلامة ... » .

وعاد الشرطى إلى رفاقه بالنبأ ، فوجدوا شيئا يعملونه .

* * *

أحضروا الشاب ومن كان معه ، وحققوا واستنبطوا وهددوا فلم يسمه إلا الإقرار ، ولم يسمهم إلا الشهادة ، وكتب الضبط بالحادث ودعى الأخ الذى دفع المال .

فلما حضر وسمع الحديث شحب لونه حتى كأنه قد نزف دمه كله ، وانقلب وجهه فصار كوجوه الموتى ، ودنا من الشاب وهو يرتجف كن مسته قشعريرة ، وقال له بصوت رهيب مخيف لا يشبه أصوات البشر :

— ألا تعرفها ؟ ألم يكن بينك وبينها شىء ؟

قال الشاب فزعاً :

— لا والله ، لا والله ، ما كلمتها فى عمرى ولا مسستها ، وهذه ليراتك ...

— قال : ليراتى يا ابن الكلب ، بعد ما ذبحت البنت البريئة ؟

وانقلبت عيناه فى أم رأسه ، وصار مثل الوحش الهائج ، وتلفت حوله فوجد قضيب حديد يتخذونه مزلاجا ... فتناوله ونزل على الشاب ضرباً به على رأسه ، وهم جميعا يحاولون إمساكه فلا يقدرون عليه ، حتى سقط الشاب ميتاً عند قدميه وسط بركة من الدم ، فداس على عنقه وبصق عليه ، ثم ارتخت يداه بالقضيب ، وقال :

— أسلم نفسى ! أنا ذبحت أختى وقتلت هذا الشاب !

وارتمى على القعد ينتظر حكم المحكمة عليه فى الدنيا ، وحكم الله عليه وعلى المحكمة فى الآخرة ...

(دمشق) **على الطنطاوى**

من خواطر جحا (الحالم اليقظان) :

قصة الساحر والتاجر

[مهداة إلى أعلام السياسة وأساطين الاقتصاد]

للأستاذ كامل كيلاني

ننقل القصة التالية عن المقدمة النفيسة التي افتتح بها « أبو الغصن جحا » خواطره التي أهداها إلى ولديه « جحوان » و « جُحَيَّة » . وقد ضمها مخطوط جحوىٌّ نفيس ، لعله مكتوب بخط أحد معاصريه أو بخط ابن أخيه : أبي السَّبَهْلَل : « طارق بن بهلل بن ثابت » .

وسيرى قارئ القصة كيف استطاع الساحر أن يحول الدنانير الذهبية ذات الرنين الفاتن والبريق الخلاب ، — منذ مائتين وألف من السنين — ورقا عاديا لا قيمة له ولا خطر ، قبل أن يهتدي إلى ذلك أعلام السياسة وأساطين الاقتصاد في هذا العصر ، الذين استطاعوا — بفنون سحرهم — أن يحولوا الملايين من أموال حلفائهم ورقاً لا نفع فيه ولا غناء ، ولا قدرة له على البيع ولا الشراء . كما استطاعوا من قبل — بفنون حقدهم — أن يحولوا ثروة العالم صواعق ومهلكات تدمر الدنيا بمن فيها ، وتنسف المدن بساكنيها ، وتحيل الجبال الشم أودية ووهادا ، والأحياء — من الحيوان والإنسان — فحما ورمادا .

قال « أبو الغصن عبد الله دجين بن الثابت » الملقب بجحا :

« كنت في زمن الطفولة الباكر حين وقعت حوادث هذه القصة لأبي عُوَيْف بن جعفر ، وكان تاجراً أميناً معروفاً بين الناس بالورع والتقوى ، موصوفاً بالبر والإحسان ، وهو من جيراننا الأقربين ، وكان جزاراً ناجحاً في تجارته ، فلم يلبث أن ذاع صيته ، واستفاضت الأحاديث الحسنة عما يسديه إلى الفقراء والمعوزين من فنون البر سراً وعلانية .

وذا صباح وفد عليه شيخ وقور مهيب الطلعة رائع السَّمت يدعى « أبا تميم بن زهير » قد جلل الشيب رأسه ولحيته ، وتألق وجهه بشراً ونوراً ، حتى ليحسب من يراه — أول وهلة — أنه من أولياء الله الصالحين .

ولم يكد يحييه حتى خف إليه التاجر مُرَحِّباً بمقدمه ، متبركا بلثم يده ، يسأله أن يأمر فيطاع .

فهمس الشيخ « أبو تميم » في أذن التاجر يخبره بما اجتمع عليه أمره من بذل في سبيل الله . فقد اعتزم أن يشترى منه كل صباح لحم خروف بدينار ليفرقه على طائفة من المحتاجين . ثم أعطاه — من فوره — ديناراً لامعاً مشرق الجدة . وانتهزها التاجر فرصة للتبرك بنقود هذا الشيخ الصالح ، فاعتزم أن يدخر ديناره حتى ينتهي العام ، فيشترى بها ما يحتاج إليه من ماشية وأغنام ، فأسقط الدينار من ثقب في أعلى درج خفي . وجرى كلاهما على عادته : يشترى الشيخ كل يوم خروفاً بدينار ، ويضعه الجزار في صندوقه ، حتى إذا أشرف العام على نهايته ، فتح التاجر درج النقود المدخرة ، فهاله ما رأى ، وفزعه أن يجد أوراقاً صُفراً مستديرة — بعدد أيام السنة — مكان الدنانير الصفر الجديدة التي أخذها من الشيخ .

وسرعان ما تبين التاجر جلية الأمر ، وعرف حقيقة الشيخ وأدرك أنه مدلس كبير وساحر خطير ، فتربص به وهو يكاد يتميز من الغيظ ، حتى إذا أقبل « أبو تميم » اندفع إليه الجزار صاخباً لاعناً مشهراً بسوء فعلته .

وثمة عرف الساحر أن أمره افتضح ، وسره وضح . فهمس في أذن التاجر مستعطفاً يرجوه أن يخفض من صوته حتى لا يسيء إلى سمعته ، واعداً إياه بمكافأة سنية عاجلة إذا صفح عن زلته ، وتجاوز عن إساءته . فلم يزد الجزار إلا تمادياً في صياحه وتشهيره ، ووعيده ونكيره . وأقبل الناس يحاولون أن يهدئوا من ثورته الجامحة وهو آخذ بتلابيب خصمه ، ممعن في هياجه ، متماد في لجاجه ، حتى إذا يئس الشيخ من صفح التاجر قال له منذراً متوعداً بصوت ثائر ، يجلجل في أجواز الفضاء كأنه الرعد القاصف :

« لقد صبرت عليك طويلا ، فلم تزد إلا تماديا وإصرارا ، فاعلم أن لكل شيء آخرا ، وأن للحلم حداً لا سبيل إلى تجاوزه . وإني منذرك — على ملأ من الحاضرين — أنني معلن ما خفيَ من أمرك ، ومذيع ما بطن من سرك ، إذا لم تكف عن هذيانك وخرافاتك ، وتقلع عن إساءتك وتُرَّهاتك » فاشتد غيظ التاجر على الساحر وقال له في تهكم الساخر :

« وأىُّ تهمة يستطيع مثلك أن يعزوها إلىّ ؟ » .

فأجابه الساحر فى جرأة سافرة ، ووقاحة فاجرة ، وقد جمع كيده وسحره ، وحشد مكره وغدره :

« أستطيع أن أعلن لهم حقيقتك وأفضى إليهم بما تقترفه من فنون الاجرام وكبائر الآثام ، فأدلهم على ماتخفيه فى الصندوق من رءوس الآدميين الذين تذبحهم كل يوم لتبيع الناس لحومهم بعد أن تخفى رءوسهم » .

ولم يكد الساحر يتم فريته حتى أسرع الناس إلى دكان الجزار فرأوا مصداق ما افتراه الساحر بعد أن خيل لهم سحره أن لحوم الخراف المعلقة لحوم بشرية ، والرؤوس التى فى الصندوق رؤوس آدمية . ولم يتمالكوا من فرط غيظهم أن ينهالوا على التاجر سبا وشتما وضربا ولكما ، حتى إذا أغمى عليه رآها الساحر فرصة سانحة للهرب ، فتسلل إلى بيته ناجيا بعد أن أفلحت مكيدته ونجحت دسيسته .

وذاعت قصة التاجر ، فأقبل القاضى عليه ، بعد أن زال سحر الساحر ، فلم ير إلا خرافا معلقة لحومها على باب الدكان . فلما فتح الصندوق لم ير إلا رؤوسها . ولما أفاق التاجر عرف القاضى منه تفصيل ماحدث . فأدرك — حينئذ — براءته من تلك التهمة النكراء ، والخزية الشنعاء ، بعد أن هدم شرفه ولوثت سمعته .

ولم يلبث أن ذاع صيت هذا التاجر بين الناس ، بعد أن رأوا من المظاهر الكاذبة ماأقنعهم بأن الشيخ جان أثيم ، وشيطان رجيم ، وإن دلَّ مخبره على أنه محسن رحيم وملكٌ كريم .

* * *

مات هذا التاجر المحسن اليوم — بعد أن مرَّ على قصته ربع قرن — وكان مُشيِّعوه إلى قبره يذكرونها متعجبين لما أصابه من كيد الساحر الأفاك . أما أنا فقد وَعَيْتُ قصته منذ طفولتى ، فلم أقع فى مثل هذه الورطة مع أحد من الأشرار — وما أكثر ما لقيت منهم — فقد وجدت فى التنابى مهربا من الاشتباك معهم فى صراع قلَّ أن ينتهى بخير .

وقد آثرْتُ أن يتهمنى الأغرار بالغفلة على أن أزج بنفسى فى مُخرِجات لا أدرى كيف أخرج منها .

وطالما ذكرت مادار بين عمرو بن العاص ومعاوية من حوار معجب حين قال أولهما للثانى مفاخرا بلباقته وسرعة خاطره : ما دخلت مأزقا قط إلا عرفت كيف أخرج منه » وكيف أجابه معاوية بقولته الحكيمة : « أما أنا فما دخلت مأزقا قط » .

وقد وعيت قصة الساحر وحكمة « معاوية » ، منذ عرفت الحياة ، فانتفعت بهما أيما انتفاع .

* * *

أذكر على سبيل المثال أننى كنت أمشى — ذات يوم — فى الفلاة ، فأحسست وقْعَ خطوات تقترب منى ، فأرهفت أذنى — دون أن ألتفت إلى الوراء — فسمعت همسا أدركت منه : أن لصين يأتمران بسرقتى . وليس معى شىء يسرق غير الحمار . فلم ألتفت إليهما خشية أن يصيبنى منهما مكروه ، وتشاغلت بمحادثة نفسى تارة وبالغناء تارة أخرى ، حتى أهيىء لهما الفرصة لسرقة الحمار . وشعرت أن أحد اللصين يفك مقود حمارى ، ثم يضمه فى عنقه ويسلم الحمار إلى صاحبه .

فتناضيت ومشيت — على عادتى — متباطئا حتى دانيت المدينة ، واقتربت من العمران . فالتفت إلى الخلف ، وإذا باللص الخبيث مكان حمارى الطيب القلب ، والمقود فى عنقه ، وهو يمشى خلفى .

فتظاهرت بالحيرة والدهش ، وسألته متباطئا لأهيىء له الجواب :

« من أنت ؟ وأين حمارى ؟ وكيف حللت مكانه ؟ » .

فأجابنى متخابثا : « إن قصتى أيها السيد الكريم ، لا تكاد تصدق لغرابتها ، فأنا آدمى مثلك ، ولكنى غلوت فى الإساءة إلى أمى — فيما مضى من الزمان — فلما نفد صبرها ، واشتد غيظها علىّ ، ابتهلت إلى الله داعية أن يمسخنى حمارا فاستجاب الله دعاءها .

فخرجت من البيت هائما فى الطريق ، فلقينى بعض الأشرار ، فأسرع بى إلى السوق وباعنى لك . ومازلت أخدمك — فى أمانة وإخلاص — إلى اليوم ، ولعلى بذلك قد كفرت عما أسلفته لأمى من إساءة .

وقد رأيتنى الآن أسترد آدميتى ، فمشيت خلفك مطرقا مفكرا فيما لقيت من عجائب الحياة . وأغلب الظن أن أمى قد عاودها رضاها عنى ، فراحت تستغفر الله لى حتى استجاب دعاءها

مرة أخرى! ، فخلعت عنى ثوب الحمارية ، واستردت من فورى ثوب الآدمية .

ترى كيف أجيب هذا الألعبان ؟

تمثلت فى الحال قصة الساحر والتاجر ، فلم أجد لى مندوحة عن التظاهر بتصديق هذا الكيذبان الماكر . فقلت له متبالها :

« حسبك ما لقيت من عقاب إلهى ، فهل تعاهدنى على أن تتحرى مرضاة أمك ، وأن تبذل فى هذا السبيل قصارى جهدك »

فعاهدنى اللص على ذلك ، وهو يحسبنى — لغباوته - أكبر مغفل لقيه فى حياته .

* * *

ثم لقيت حمارى بعد أيام يبيعه اللصان ، ولم أكد أدانيه حتى اختفى أولهما الذى لقيته منذ أيام ، وأسلم الحمار إلى شريكه ليتم بيعه .

فدنوت من الحمار ثم تظاهرت بأننى أسر فى أذنه حديثا موجزا .

فاشتدت دهشة الناس مما رأوا . ودفعهم الفضول إلى سؤالى عما همست به فى أذن الحمار . فقصصت عليهم قصتى بمسمع من اللص ، ثم ختمتها قائلا :

وها أنذا أجد صاحبى قد خالف عهده ، وأغضب أمه مرة أخرى ، فلم يلبث أن عاودته حماريته وزايلته آدميته . فلم أتمالك أن أسررت فى أذنه معاتباً :

« لقد حذرتك — يا صاحبى — هذه العاقبة ، فلم تسمع . فلا تلومن إلا نفسك » . ولم يكد الحاضرون يستمعون إلى هذه القصة حتى استغربوا (أى : أغرقوا فى الضحك) .

وشعر اللص الأفاك بالحرج ، فتسلل هاربا وترك لى حمارى ، فعدت به إلى دارى ، وقضيت يومى راضياً محبوراً ، قرير العين مسروراً .

* * *

وسرق بعض الأشرار مقود حمارى ، فبحثت عنه طويلا فلم أجده . وبعد أيام رأيته معلقاً فى رأس حمار أكبر من حمارى . فلم أكد أقترب منه حتى رأيت صاحب الحمار — وكان شريراً فاتكا معروفا — ينظر إلىّ شزراً .

فتذكرت قصة الساحر والتاجر ، وقلت متظاهراً بأننى أحدث نفسى : « ياللعجب العاجب ! هذا رأس حمارى ، ولكن ما بال جسمه قد تغير » .

فكاد اللص يستلقى على قفاه من شدة الضحك ، وتجاوز لى عن المقود طائعاً مختاراً .

* * *

واستيقظت قبيل الفجر ذات ليلة على صوت لص ، فصبرت عليه حتى سرق كل ما فى البيت من متاع ، وتسللت فى أثره مقتفياً خطواته — وهو لا يرانى — حتى بلغ داره . فلم يكد يرانى حتى تملكه الدهش والحيرة . فنظر إلىّ يسألنى : كيف جئت إلى هنا ؟

فقلت له مداعباً : « جئت لأعرف الدار الجديدة التى انتقلت إليها » .

فاستظرف إجابتى ، واستحسن دعابتى ، ورد إلىّ أثاث بيتى ولم ينلنى منه أذى بعد ذلك اليوم .

* * *

وشعرت ذات ليلة بلص يقتحم دارى فاستولى علىّ الخوف ، وأسرعت إلى خزانة صغيرة فاختبأت فيها بين ثنايا الفرش ، وكنت أعلم أن الدار خالية والحمد لله مما يسرق . وقد بحث اللص طويلا فلم يظفر من بحثه بطائل . وهم بالخروج ، ولكن خاطراً دفعه إلى فتح الخزانة ، فلما رآنى صاح فىّ غاضباً :

« مالى أراك مختبئاً ؟ » فلجأت إلى الدعابة قائلا : « لقد أخجلنى أنك لم تظفر بما يستحق السرقة فى دارى فاختبأت فى هذه الخزانة ولم أجرؤ على مواجهتك » .

فضحك اللص مما سمع وكفانى شره وأذاه .

* * *

وشعرت بلص من الأشرار يسرق متاع دارى ذات ليلة ، فتشجعت وقلت له مداعباً :

« ما أضيعَ بحثك أيها السيد الكريم ! إنك تحاول عبثاً أن تعثر فى ظلام الليل الحالك على شىء تسرقه من دارى . ولقد حاولت ذلك من قبلك فى رائعة النهار ، فلم أر شيئاً فى الدار » .

ألا ليت الناس يذكرون دائماً قولة صديقى الألمعى الحكيم عبد الله بن المقفع : « إن الماء يبلغ — مع ليونته — ما لا تبلغ النار مع شدتها »

عبد الله حبما

وفق الأصل : كامل كيلانى

جلالة الفـــــاروق
ولويس الرابع عشر

للدكتور محمد غلاب

الآن ، وبعد أن تكسرت على صخرة أحداث المفاوضات موجة التأثر التى أثارها فى النفوس التجاء ملك إيطاليا المتجرد من عرشه إلى مصر ، فإننا نستطيع أن نوسم فى إيجاز تلك العاطفة التى أحسسنا بها عند ما طالعنا فى الصحف وصف تلك الحفاوة الملكية الرائعة التى استقبل بها عاهل أرض الكنانة ذلك الملك المبعد عن بلاده . ولقد كانت فى طليعة تلك الأحاسيس التى شعرنا بها حين قرأنا هـذا النبأ عاطفة النشوة الناجمة عن الإحساس بأن مصر قد بدأت تسترد عزتها الدائرة ، وتستعيد عظمتها الغابرة ، وأن أشعة هذا الأمل العذب قد أخذت تتمثل فى استعداد وادى النيل لإيواء الملوك اللاجئين والأمراء المبعدين ، ولم لا ؟ ألم يكن من أبرز مفاخر فرنسا إلى هذه السنين الأخيرة أنها قبلة اللاجئين ، وغاية المهاجرين ، ولا سيما الملوك والأمراء الذين لأمر ما تعذر عليهم الثواء فى بلادهم . ولا جرم أن فى هذه الخاصية من خصائص الدول معنى من أبهى معانى الرفعة والسمو ، لأنه يلطف آلام فريق من أولئك التعساء ، ويحيى الأمل فى نفوس فريق آخر منهم ، ويشعر فريقاً ثالثاً بأن الإنسانية لم تتحول كلها إلى وحوش ضارية ، لأن الإكرام العملى والحفاوة الواقعية يتركان فى النفوس من محمود الأثر ما تعجز عن تأديته العبارات المعسولة التى لا تكلف المتفيهقين بها كثيراً ولا قليلا . ونحن إذا نظرنا إلى هذه الظاهرة نظرة عميقة ألفينا أن الفضل الأول فيها عائد بالذات إلى حضرة صاحب الجلالة مليكنا المفدى الذى عرف كيف يكشف أسرار عظمة الدولة ، ثم يطبعها بطابع خاص تتحقق فيه الدقة والرقة والمثالية إلى جانب ثماره الأساسية ، وهى المجد والفخار والخلود . وكيف لا تكون هذه السماحة النادرة ، وتلك البشاشة النبيلة ، وذلك الإكرام الكامل من الأمور المثالية فى هـذا العصر الذى كادت الإنسانية فيه — مع الأسف الشديد — تفقد كل معالمها ، والذى أصبح فيه الشغل الشاغل لأكثر الدول هو التفكير فى وسائل ونتائج الاستيلاء على حقوق الغير واغتصاب ممتلكاتهم الشرعية تارة فى مجون واضح وصفاقة بغيضة ، وأخرى تحت ستار الدفاع عنهم أو تحسين حالاتهم الاجتماعية .

وفوق ذلك ، فإن هذه الحادثة قد أعادت إلى مخيلتى ذكريات تلك المحامد النبيلة التى انفرد بها الشرق ، وهى البشاشة التقليدية والسخاء الموروث وإكرام الضيف دون أية علة أخرى غير الالتذاذ النفسانى بتحقيق العمل المجيد وما إلى ذلك من المواطف العالية التى أوشكت واقعية عصرنا الحاضر أن تسحب عليها أذيال النسيان .

أسند بعض الكتاب ذلك المظهر الملكى الجليل الذى استقبل به مليكنا ضيفه اللاجىء الأخير إلى فضيلة عرفان الجميل من جانب جلالته نحو أسرة سافوا ، وتلك بلا ريب عاطفة جليلة جديرة بأن تدفع النفوس الملكية أكثر من غيرها إلى رد خير الصنيع إلى أهله ، ولكن أليس تعليل أولئك الكتاب هذا المظهر الفاتن بتلك العاطفة وحدها يخفى كثيراً من جوانبه الأخرى الخلابة وعناصره الجوهرية التى نحن على يقين من أنها قامت بدور أساسى فى تصرف جلالة مولانا الملك وبواعثه ؟ ومن هذه العناصر الأولية التى غفل عنها أولئك الكتاب تلك الدوافع التى فطرت عليها النفوس النبيلة والطباع الكريمة ، والتى لا تزال تنعش ذوى المحاتد العريقة وتدفعهم إلى القيـام بالأفعال الخليقة بالخلود فى ذاكرة التاريخ تتخذ منها الكافة نبراسها فى دياجير الحياة ، وتجد فيها الخاصة دروسا فى العظمة ، والتى تنشىء لدى الشعوب ملكة تذوق المجد المجرد من النفعية ، وهل يحسب أولئك الذين طغت عليهم روح الواقعية أنه من الممكن أن تستغنى الإنسانية عن هذه الأحاسيس السامية ، وأن تكتفى بتلك الدنية المادية مهما بلغت أعلى آواج السطوع والإخصاب ؟

نحن لا نحسب أن الإنسانية مقصورة على هذه الروح الواقعية منحصرة فى هذه الدائرة العملية الضيقة ، وإلا فما هو سر جاذبية تلك الصور التاريخية الساحرة التى فتن جمالها القلوب ، وخلب سموها النفوس ، والتى قدمت إلى أهل الحياة العملية فريقا آخر

من البشرية ضحوا براحتهم وهدوئهم ، بل بحياتهم أحيانا فى سبيل الشهامة والمروءة المثاليتين . وهكذا لم أطالع فى الصحف نبأ تلك الحفاوة الرائعة المؤثرة التى قام بها جلالة مليكنا المفدى نحو ملك عريق مهاجر من وطنه حتى أحسست بذكريات تنبثق من غياهب التاريخ وتنقذف إلى ذاكرتى ، وسرعان ما أحسست بتوثق وجه الشبه بين تلك الأحداث التى طوت العصور ممثليها ولم تقو على محوها من سجل الزمن ، وبين ذلك الحادث الكريم الرفيع . ولقد كان فى طليعة هذه الذكريات الخالدة حفاوة لويس الرابع عشر ملك فرنسا العظيم بجاك الثانى ملك انجلترا حين قلب له الدهر ظهر المجن .

ومجمل ذلك أنه لم تكد سنة ١٦٨٨ تشرف على الانتهاء حتى كانت الثورة الانجليزية الثانية قد بلغت أقصى حدودها وأعلن الثوار — فى مقدمة ما عابوه على مليكهم جاك استوارت — أنه كاثوليكى ، وأن الأمة بروتستانتية ، فلا ينبغى أن يجلس على عرشها من اختلف دينه مع دينها ، ثم دعوا للتملك عليهم الأمير الهولاندى جيوم الثالث . وعلى أثر زوال هذه الكارثة بالأسرة المالكة ، كان ذلك الملك المنكوب بين عاملين متعارضين : أحدهما يدفعه إلى الالتجاء إلى فرنسا والاحتماء بعاهلها الأعظم والعيش فى كنفه المنيع ، وهو عامل الصلة الأسرية التى كانت تربطه بالبيت المالك فيها . والعامل الآخر هو ذلك العداء الذى كان مستحكما بين دولتيهما فى ذلك الحين، إذ أن شارل الثانى والد هذا الملك التعس كان قد أعلن الحرب على فرنسا فى سنة ١٦٧٨ أى قبل هذه الصدمة بنحو عشرة أعوام . وأكثر من هذا أن شارل الثانى نفسه كان يحنق على فرنسا حنقا خاصا ويحسدها على أسطولها ، وأنه سجل هذا الشعور الانجليزى التقليدى البغيض الذى يجرى فى نفوس أفراد هذا الشعب جريان الدماء فى أوردتهم وصوره فى هذه العبارات التالية :

« إن كبرى العقبات التى تعترض سبيل الحلف الفرنسى هى تلك العناية العظمى التى يبذلها الفرنسيون الآن لينشئوا لهم كيانا تجاريا ، وليكونوا قوة بحرية تفرض إرادتها ، إذ أن كل خطوة تخطوها فرنسا فى هذه السبيل ، تخلد الحسد بين هاتين الدولتين » .

بيد أن ذلك الملك السيء الحظ بعد أن وازن بين الحالتين رجح الالتجاء إلى فرنسا لثقته بنبل مليكها وكرم خلقه ، وسمو طبعه . وفى أواخر ديسمبر سنة ١٦٨٨ نجحت ملكة انجلترا وولدها ولى العهد فى اجتياز المانش إلى كاليه بفضل تلك المحاولة الجريئة التى قام بها أحد النبلاء الفرنسيين ، وهو دوق دى لوزان مدفوعا إلى ذلك بالشهامة البريئة التى تتغلغل فى فطرته النقية من العلل النفعية . ولما كان الملك قد وعدها أن يلحق بها فى كاليه فقد انتظرته هناك بعض الوقت ، ولكن لويس الرابع عشر لم يلبث أن بعث إليها بموكب فخم يحف بها إلى باريس لتنتظر رفيق حياتها فى العاصمة مكرمة معززة . وفى اليوم السادس من يناير سنة ١٦٨٩ وصلت الملكة وولدها إلى ضواحى باريس ، فلم يكن من ملك فرنسا — وهو ذلك الملك الأريستوقراطى النزعة — إلا أن انتقل ترافقه حاشيته لاستقبالها ، وعند ما لمح المركبة الملكية ترجل واتجه إليها ، فعانق ولى العهد فى حنان أبوى ثم هرول إلى الملكة ، وبعد أن حياها تحية رقيقة مفعمة بالاحترام والاكبار، أصعدها إلى مركبته وأجلسها إلى يمينه كما تقتضى أرق مراتب الذوق واللياقة . ولما وصلوا إلى العاصمة وضع ذلك الملك الكريم تحت تصرف ضيوفه قصر سان جيرمان ، وهو ثانى قصر فى الدولة بعد قصر فرساى ، ثم بذل كل ما فى وسعه لإسعادهما وللحيلولة بينهما وبين الشعور بغيبة أدنى الكمالات .

وفى أثناء رحلة الملكة إلى باريس ظفر زوجها بعد عناء شديد بنعمة الوصول إلى الساحل الفرنسى .

وفى اليوم السابع من يناير وصل بدوره إلى ضاحية سان جيرمان حيث كان لويس الرابع عشر فى انتظاره . وعند ما أعلن قدومه أسرع لاستقباله وتعانقا عناقا مؤثرا أحس أثناءه ملك انجلترا بالحقيقة المرة وقدر منزلته الراهنة تجاه أعظم ملوك الدنيا فى عصره ، فانحنى حتى ركبتى لويس الرابع عشر ، ولكن هذا الأخير تأثر كثيرا وأبى أن يعامله إلا معاملة الند للند ، وبعد أن تسارا مليا اقتاده إلى حيث تقيم قرينته وولده ثم ودعه قائلا له : « هذا هو منزلك تستقبلنى فيه كما أستقبلك فى فيرساى » . ولم يكتف ذلك الملك الجليل بهذه البشاشة الفائقة ، وإنما خصص الأيام التى تلت يوم قدوم ضيفه الكبير للاحتفالات بمقدمه

والحفاوة بشخصيته ، وليس ذلك كل شىء ، بل إنه أمر أن يعامل ذلك الملك المخلوع فى البلاط الفرنسى معاملة ملك على عرشه.

وما أبهى ما تحدثنا به مادام دى سيفينييه فى تعليقها على هـذه الحادثة إذ تقول : « إن الملك قد سلك بإزاء جلالتى ملكى الإنجليز مسلكا إلهيا بحتا ، أفليس من أوصاف ذى القدرة والجلال إعانة ملك طريد لفظته بلاده ، وغدر به أصدقاؤه وهجره أنصاره ؟ لا شك أن نفسية الملك العالية قد راقها أن تقوم بهذا الدور المظيم » .

وهكذا بقى جاك الثانى فى ضيافة ملك فرنسا عزيزا محترما حتى فارق الحياة فى سنة ١٧٠٢ .

وأخيرا ألست ترى معنا أن وجه الشبه بين هذين الملكين : فاروق الأول ولويس الرابع عشر قوى متين إلى حد يلفت النظر ويسترعى الانتباه .

محمد غلاب

الطـــــاقة الذرية

لم يكن إنطلاق الطاقة الذرية بالشكل الذى تبين حديثاً للعالم وليد فكرة تخيلها العلماء ، وأخرجوها من حيز الفكر إلى حيز العمل فى وقتنا الحاضر . بل نتيجة لسلاسل طويلة من التفكير الطويل والبحث المتواصل .

الإستنتاجات والبحوث الأولية :

منذ ٢٥٠٠ سنة مضت، عارض ديمقراطيس وهو أعظم فلاسفة اليونان القول بأن المادة قابلة للتجزئة من غير حد . وقرر وجود الجزء الذى لا يتجزأ ، أو الجوهر الذى يقف عنده التجزؤ وتحلل إليه الأجسام . وكان يرى أن الجزء الذى لا يتجزأ (أى الذرات) صغير لا تدركه الحواس . وهو فى حركة دائمة وباق لا يدركه الفناء . وقد تطورت تلك الأفكار على يدى ليوراطيس ووضعت فى المنظومة المشهورة المسماة « فى طبيعة الأشياء » .

وقد اعترف الإنسان بداهة منذ أن بدأ فى التفكير والتعليل والوصول إلى شرح العمليات الطبيعية فى احتمال صحة النظريتين اللتين تنص إحداهما على « الإستمرار » والأخرى على « عدم الإستمرار » ، فحبذ ديمقراطيس نظرية عدم الإستمرار ، بينما حبذ « أفلاطون » وتلاميذه نظرية الإستمرار ، أى النظرية التى تنص على أن الطبيعة مركبة من سائل شامل . أو بتعبير آخر (انشغال الفراغ بالهيولى) وكل من هاتين النظريتين صحيحة من الناحية الفلسفية . على أن هناك اختلافاً ظاهراً بينهما إذا ما وضعا تحت البحث التجريبى العلمى . ولما كانت العبودية مسلماً بها فى الحياة الإجتماعية فى ذلك العصر اعتبرت الفلسفة الفكرية من مكملات الحياة الأرستقراطية ، بينما العمل اليدوى مهين لكل من يزاوله . وترى من هذا أن فلاسفة ذلك العصر كانوا يعتبرون للعمليات اليدوية ، أو بعبارة أخرى البحث التجريبى العلمى أحط طريقة للوصول إلى حقيقة الأشياء .

ولما كانت الفلسفة الأفلاطونية معترفاً بها فى الفترة الأخيرة قبل ميلاد المسيح وكانت آراؤه وتعاليمه تمثل التفكير السائد فى ذلك العصر أخذت نظرية الإستمرار مكانها وسادت ، وكانت هى النظرية المعترف بها لمدة ٢٠٠٠ سنة تقريباً .

نشوء العلم الحديث :

وفى أواخر العصر الأوسط نشأت حركة فكرية جديدة بظهور جيل جديد من الفلاسفة الطبيعيين . وربما كان السبب فى هـذه النهضة ارتقاء منزلة العامل اليدوى مثل البناء والرسام والمهندس والطبيب من ناحية ، والتفكير فى الفلسفة الرومانية واليونانية على أساس جديد ، وذلك بظهور عصر الإصلاح ، أو النهضة العلمية من ناحية أخرى . وقد ظهرت النظرية الذرية للمادة من جديد واستخدمها « فرانسيس باكون » كقاعدة لنظريته فى الحرارة ؛ واستخدمها أيضاً روبرت بويل لتفسير ماهية التغير الكيميائى . وباستخدامها كذلك تمكن نيوتن من الوصول إلى قانون بويل وكان فى هـذا أول من توصل إلى تعبير رياضى لنظرية طبيعية .. غير أن الفخر يرجع «لجون دالتون » الكيميائى

الإنجليزى الشهير فى وضع تلك النظرية فى شكلها الحالى . فكانت هى الحجر الأساسى الذى بنى عليه علم الكيمياء الحديث . وكانت تلك النظرية أيضاً بمثابة الهام لكل باحث كيميائى حديث .

ولما قارب القرن التاسع عشر على الإنتهاء كانت نظرية دالتون للدقيقة فى أنها النهاية القصوى لكل مادة كيميائية دقيقة لا تتغير ولا يمكن نفوذها يتميز بها كل عنصر عن الآخر، نظرية مقبولة اعترف بها كل علماء العالم تقريباً كأساس لطبيعة الأشياء .

المواد الرديومية . أو المواد ذات الفعل الرديومى :

ظهر كشفان خطيران فى السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر : الأول هو الكشف عن المواد الرديومية فى عام ١٨٩٦ ، والثانى الكشف عن الأليكترون فى عام ١٨٩٧ . لما كان الهدروجين هو أخف العناصر وزناً ظن العلماء أن ذرة الهيدرجين هى أصغر الدقيقات المكن الحصول عليها ، والألكترون دقيقة وزنها ١ على ٢٠٠٠ من وزن ذرة الهيدروجين . وعلاوة على ذلك يمكن الحصول على الألكترونات من أى نوع من الذرة . ويمكن القول من هذا أن الذرات لا بد أن تكون ذات تركيب وأنها قادرة على التغيير . وقد أمكن إثبات هذه النتيجة بعد دراسة ماهية المواد الرديومية دراسة شاملة . وقد كان « أندرو بكرل » هو أول من كشف عن المواد الرديومية فى عام ١٨٩٦ إذ لاحظ أن أحد العناصر « اليورانيوم » ينبعث منه إشعاعات دائمة تخترق المادة وتؤثر على الألواح الفوتوغرافية وتنتج فى الوقت نفسه على ما يظهر مقداراً من الحرارة لا ينفد . وقد تابع « بيير ومارى كورى » بحوث بكرل وكشفا عن مادة الرديوم . وهى مادة رديومية أقوى بكثير فى تأثيرها من اليورانيوم .

وقد ظهر فى هذا الوقت عالم نيوزيلاندى اسمه « أرنست رثرفورد » وهو من أعظم علماء هذا العصر شهرة وأعلاهم مكانة . كان رثرفورد يبحث فى أشعة إكس والألكترونات تحت إشراف العالم البريطانى المشهور « السير جوزيف تومسون » فى كمبردج . ولما علم رثرفورد بالكشف عن المواد الرديومية وخواصها تاقت نفسه فى الحال للبحث فيها وعلى تركيز قواه الفكرية ومعلوماته التجريبية فى بيان ماهيتها . وقد عين رثرفورد فيما بعد أستاذاً لعلم الطبيعة بجامعة مونتريال بكندا . وفى بضع سنوات تمكن من وضع الخواص الأساسية للمواد الرديومية . وقد اقترح رثرفورد وزميله « سودى » فى عام ١٩٠٢ أن الأصل فى الفعل الرديومى هو « الإستحالة » الذاتية للذرات . وقد بينا أيضاً أن الذات تستحيل على ما يظهر حسب قوانين المصادفة . وكانت هذه النظرية الخطيرة هى الثالثة من النظريات التى وضعت للكشف عن ماهية المواد الرديومية ، ويتبين من هذا أن قوانين المصادفة على ما يظهر هى فى الواقع أساس كل العوامل الطبيعية . وهذه نتيجة خطيرة يعد حدوثها مثالا جديداً من أمثلة الإستحالة .

الطاقة :

جاء الكشف الذى نص على أن فى داخل الذرة مقداراً هائلا من الطاقة فى وقت كانت فيه النظريات التى وضعت فى تفسير الطاقة قد تطورت تطوراً خطيراً أمكن بها تفسير ماهية الطاقة فى العناصر الرديومية . ولم يضع الباحثون قبل القرن التاسع عشر نظرية يمكن بها تفسير طبيعة الطاقة تفسيراً ظاهراً مبنياً على التجارب . ولما تطورت الآلة البخارية تقدم « جيمس وات » بالتعبير السائد وهو « قوة الحصان » . وبعد أن بحث العلماء فى آلات الحرارة تبين أن هناك تعادلا صحيحاً مضبوطاً بين مقدار الشغل الذى تعمله الآلة ومقدار الطاقة التى توضع فيها . وقد وضع «مابر وجول » فى منتصف القرن التاسع عشر تقريبا برهاناً قاطعاً بينا به أن الطاقة على اختلاف أنواعها سواء كانت ميكانيكية أو كهربائية أو طبيعية أو كياوية أو حرارية كلها متعادلة يمكن تحويل كل منها إلى الأخرى . ثم أمكن فى الوقت نفسه الحصول على تعبير رياضى دقيق لمقدار الطاقة الممكن الحصول عليها من قطعة من الفحم وذلك بوضعها تحت ظروف خاصة . ثم وجد العالم الألمانى الطبيعى « ماكس بلانك » فى عام ١٩٠٠ أنه من المستحيل تفسير توزيع الطاقة فى الأشعة الملونة المختلفة فى الضوء

المنبعث من مصدر ساخن مثل الشمس بدون الفرض أولا بأن الطاقة قد انبعثت فى شكل حزم صغيرة ذات حجم محدود . ويظهر من هذا إذن أن الطاقة لا بد أن تبقى فى شكل ذرى .

وضع «إينشتين» فى عام ١٩٠٥ نظريته المعروفة فى « تبادل الانتساب» لشرح الحقيقة الغريبة التى تنص على أن سرعة الضوء ثابتة فى المادة بقطع النظر عما إذا كان منبع الضوء متحركا أو غير متحرك . وتخالف هذه النظرية النظريات القديمة المألوفة للمسافة والزمن مخالفة تامة ، بل تؤدى إلى نظرية جديدة تبين فيها المسافة والزمن كعاملين مختلفين لنفس الأساس الواحد . ولما تبع هذا البحث الكشف عن العلاقة العضوية بين المسافة والزمن، بين إينشتين أن هناك علاقات مماثلة بين الخواص الأخرى المميزة للمادة كانت تعتبر حتى هذا الوقت كأنها خواص مميزة ظاهرة لا ترتبط بعضها مع بعض . وقد بين إينشتين أيضاً أن كلا من الكتلة والطاقة قابلة للتغيير والتبديل، وأنهما خاصتان من أساس واحد . ويمكن الاستدلال من هذا أن المادة هى عبارة عن طاقة متجمعة .

ولم يمض من الوقت غير القليل حتى تنبه العلماء إلى أن هذه النظرية يمكن بها شرح أصل تلك الكميات الهائلة من الطاقة التى تنبعث من الشمس والنجوم شرحاً وافياً كاملا . فقد أشرقت الشمس من ملايين السنين ، وهى مستمرة فى الاشراق ولم تنقص طاقتها إلا بكمية ضئيلة جداً .

نشوء علم طبيعة النواة :

كان المعروف إذن فى أوائل القرن العشرين أن كل الذرات تحتوى على جوهر مشترك وهو الالكترون ، وأنه يمكن تحويل ذرات العنصر إلى ذرات لعنصر آخر ، وأن هذا التحويل يلازمه انطلاق الطاقة .

وقد تابع رذرفورد بحوثه ، وتصور فى مخيلته فكرة جريئة جداً نصت على استخدام تفكيك الذرات للبحث عن تركيبها ، أو بعبارة أخرى البحث فى الدقيقات المنبعثة من الذرة للكشف عن ماهية موضوعها أو أصلها فى الذرة . وأعقب ذلك أن أجرى سلسلة من التجارب تعد من أمهر التجارب العلمية وأدقها . وضع من نتائجها نظرية النواة للذرة فى عام ١٩١١ . وقد بين رذرفورد أن ظاهرة التشميع وسلوك الدقيقات المندفعة بانفجار الذرات تدل على أن الذرة تتركب من نواة صغيرة جداً تكاد تحتوى على الكتلة الكلية للذرة . ويحوط النواة الكترونات عدة موزعة حول النواة على أبعاد شاسعة نسبياً ، وعلى هذا تعتبر الذرة وكأنها شىء فارغ فسيح جداً ، وأن الكتلة الذرية الكلية للذرة تقريباً مركزة فى دقيقة فى وسطها (أى فى النواة) وأن النواة مشحونة بشحنة كهربائية موجبة ، وأن هذه الشحنة الموجبة توازن تماماً الشحنة السالبة التى تحملها الدقيقات الأخرى (أى الالكترونات) الموجودة فى الأجزاء الخارجية من الذرة ، وقد ظهر أيضاً أن الذرة إذا استحالت نشأ هذا عن تفكك النواة نفسها ، وليس نتيجة لفقد بعض الالكترونات الخارجية الموجودة فى الفراغ حول النواة ، أى أن المقدار الهائل من الطاقة المنبعث من المواد الرديومية يتأتى من داخل النواة .

التشعيع الصناعى :

ولما كانت المواد الرديومية مثل اليورانيوم والراديوم تتفكك باستمرار بالمصادفة كان من الجائز الفرض إمكان تفكيكها صناعياً ، وقد بدأ رذرفورد فى تحقيق هذا .

حضر فى هذا الوقت من كوبنهاجن أخصائى هولندى فى علم الطبيعة حديث السن اسمه « نيل بور » للبحث مع رذرفورد فى مدينة منشستر ، وقد كان أن وضع بور قبل مقدمه تفسيرات للكثير من الخواص المعروفة للذرات ، أساسها أنموذج رذرفورد للذرة والنظرية الكمية للطاقة التى وضعها ماكس بلانك ، وقد أمكن باستخدام « النظرية الكمية للذرة » التى وضعها بور تفسير عدد كبير من الحقائق الطبيعية فى التحليل الطيفى تفسيراً صحيحاً شاملا ، وكذلك تفسير وجود « جدول مندليف » للعناصر .

استمر رثرفورد إبان سنى الحرب (١٩١٤ — ١٩١٨) فى محاولة شطر الذرة وتجزئتها صناعياً ، وتوصل إلى أول نتيجة أثبت بها نجاحه قبل انتهاء الحرب ، وبعد انتهاء الحرب مباشرة فى عام ١٩١٩ توصل وهو فى كمبردج إلى برهان قطعى فى إمكان شطر ذرات الهيدروجين والالومينيوم ، وقد توصل إلى ذلك بتصادم تلك الذرات بدقيقات مندفعة من مواد ردبومية .

وقد كان من الطبيعى البحث فى إمكان استخدام تلك الطريقة فى شطر الذرة بطرق ميكانيكية ، وقد تحقق هذا بتصميم زميله المهندس الكهربائى « كوك كروفت » لجهاز استخدم فيه ذرات الهيدروجين التى حصل عليها صناعياً فى تفريغ كهربائى ، والتى زيدت سرعتها زيادة كبيرة باستخدام مجال كهربائى لتحطيم ذرات عنصر متوازن آخر وهو عنصر « الليثيوم » . وقد وجد أن ذرات هذا العنصر تتحطم ، وأن الطاقة المنبعثة هائلة جداً بالنسبة إلى تفاعل صغير جداً مثل تحطيم نواة واحدة ، ولما كانت التفاعلات النووية قليلة فى نفس الوقت كانت كمية الطاقة المنبعثة نتيجة للتفاعل صغيرة جداً بالنسبة لمقدار الطاقة الكلى وهناك ثلاثة عوامل ساعدت على الوصول إلى هذه النتيجة وهى : أن الدقيقات الصادمة شحنت بشحنة موجبة التكهرب ، أى مثل شحنة النواة المطلوب التصادم معها ، وإن الدقيقات ذات الطاقة العالية جداً هى التى تتحمل التنافر الناجم ، وإن حجم النواة صغير جداً جداً بالنسبة إلى حجم الذرة ؛ وأخيراً إن التفاعل لا يتولد ذاتياً .

النيوترون :

وفى الوقت الذى كان كوك كروفت يجرى فيه بحوثه كان زميله « جيمس شادويك » يبحث فى الطرق التى يمكن بها شرح النقط الدقيقة المرتبطة بشطر الذرات صناعياً ، وذلك باستخدام مواد ردبومية طبيعية . فى الفترة الأولى من عام ١٩٣٢ عقب بحوث أجراها « بوز ، بيكر ، جوليو » بين شادويك وجود دقيقة أخرى . شحنتها الكهربائية متعادلة . لها نفس الكتلة فى النواة كذرة الهيدروجين ، ولكنها تختلف عن تلك النواة وذلك فى أن ليس لها أى شحنة كهربائية . فكان من المنتظر حينئذ أن يكون لتلك الدقيقة الجديدة التى سميت « بالنيوترون » قوة اختراق (أى نفوذ) هائلة . فاذا تصادم النيوترون بذرة ما لا ينجذب نحو الالكترونات السالبة التكهرب التى تحوط الذرة ، كما أنه لا يتنافر مع نواة تلك الذرة الموجبة التكهرب . أو بعبارة أخرى يكون من السهل نسبياً للنيوترون أن يؤثر على الذرة التى يتصادم معها فيحدث تحطيمها . وخلاصة القول أن العلم قد كشف عن طريقة جديدة قوية جداً لتحطيم نواة الذرة ، بل كشف عن طريقتين لتحطيم هذه النواة فى بحر أسابيع قليلة

البقية فى العدد القادم

عن النشرة العلمية الانجليزية

كتب قرأتها :

الأدب الشعبي اللبناني

للأستاذ حبيب الزحلاوى

يطيب للنفس فى بعض الأحايين أن تنضو ما عليها من أردية مستعارة لتنعم بساعة من وجودها النقى الأول ، كما يحلو للذهن أن ينحى عنه شواغله وينفلت من قيوده ليغتبط ببرهة من هدوء تعود به إلى عهد البراءة الخالصة يوم كان خلياً من متاعب الحياة.

ألم نلتفت مرة إلى أنفسنا وقد لقيناها تعود من سبحات لا هى بقظات واعية ولا هى هجمات غافية نجد فى غضونها الراحة والهناءة ؟

ألم تر رجلا من ذوى العقول الراجحة والاتزان الصحيح يطمئن إلى صحبة من هو دونه بمراحل استجماما لذهنه وترفيها عن نفسه ؟

أليس الأدب الشعبي عوداً على بدء الفطرة للتعبير عن المشاعر والغرائز بلغة البداهة الساذجة ؟

لعلى بهذه القدمة أستطيع أن أغرى القارىء بعودة ذهنية إلى خيلة من مخائل الطبيعة الفطرية نكشف بها عن ناحية من جمال أدب شعبي لشاعر لبنانى من زحلة يدعى أميل مبارك قصر أغانيه على الضيعة .

للضيعة اللبنانية طابع خاص يختلف عن طوابع القرى فى أغلب الأقطار والأمصار ، كما أن للريف اللبنانى ميزة تميزه من بقية الأرياف ، فلا غرو إذا خصه شاعر بأغانيه ووقف على وصفه ديوانه « أغانى الضيعة »

يمتاز الأدب الشعبي اللبنانى بخلال طبيعية ومزايا اجتماعية ، وأوصاف محلية قل أن تتوافر لأدب شرقى سواء .

يمتاز بالحنين وإثارة الوجدان ، لأن أكثر من نصف أهالى لبنان يعيشون فى مهاجرهم النائية عن الوطن ، ولأن هاتيك المهاجر لم تقو ولن تقوى على أقلمة اللبنانيين ومزجهم بها فى الروح والشعور والخلق .

ويمتاز أيضاً بالبقاء لسهولة حفظه وعذوبته فى الإنشاد الجماعى ، واشتراك المرأة فى تذوقه ، وبجمعه بين الوجدان والعاطفة ولطابعه الدال على كيانه اللبنانى الفريد ، وعلى الحرص على إبراز هذا الكيان فى المهجر .

ويمتاز أخيراً بالنقاء من شوائب اللهجات والتعبيرات المجاورة للحدود اللبنانية ، بمحافظته على المفردات العامية والاصطلاحات التى تتقارب قليلا ، ولا تتباعد كثيراً بين قرية وقرية سواء أكانت فى الجنوب أم فى الشمال ، بصوره المنقولة نقلا حسياً عن جمال طبيعي من صنع المجهول لجبال وأودية وينابيع وغدران وأشجار وأثمار وأطيار ندر وجود ما يضارعها فى فتنتها الساحرة وجمالها الأخاذ فى أنحاء هذه الكرة الأرضية ، وفى رسم عادات أهل الضيعة ، وطبائعهم وسذاجتهم وبساطتهم فى حياتهم القريبة من البدائية .

مشتاق أرجع للضيعه مشتاق كتير
إتمشـقلى بشى تينه وصيد عصافير
عنت عَ بالى الضيعة وياما مشتاق
عنّى السلة بكوعى وحوّش جرجير

قد يجد غير اللبنانى بعض الصعوبة فى فهم الكلمات لارتباطها بحروف أو لاندغامها فى حروف أخرى ، ولكن بيسير من إعمال الفكر تدنو المعانى من الافهام ، لأن الكلمات ليست بدخيلة على اللغة ولا هى ببعيدة عن أصول آدابها .

نحن نرى أن البيت الأول واضح كل الوضوح لكل قارىء أما البيت الثانى فقد استعمل الشاعر كلمة « تمشق » بمعنى « تسلق » وفى البيت الثالث كلمة « عَ بالى » المحذوفة منها بعض الحروف بمعنى « على بالى » .

مشتاق ارجع عالضيعه شوف رفاق
واسرح بمروج الخضرة وجو الناق (١)
واسمع دجاجات ستى عميتقاق
ورافق جدى وبقراتو واحملوا النير

يجب أن نلاحظ أن أكثر أهالى لبنان يلفظون القاف بصحيح مخارجها ، بعكس الكثيرين من أهالى مصر والشام يلفظونها همزة ، أما أهالى حلب فيلفظونها « آف » مفخمة .

كِنتْ صغير ، وصرت كبير برمت قطار المسكونى (٢)
غنى عشت ، وعشت فقير وشفت كتير بزمانى

(١) أى النقى.   (٢) أى جبت أقطار الدنيا .

وما عا بالى بيعن غير البيت الربانى

بهذه الكلمات الوجزة البسيطة يعبر الشاعر عن خلجات صدر كل لبنانى كان فى الأصل صغيراً يوم ترك قريته فى طلب الرزق، ثم صار كبيراً وقد جاب أقطار الأرض، وعاش فقيراً ثم غنياً، ورأى الكثير من دهره، ولم يبق ثمة من شيء يخطر بباله سوى البيت الذى نشأ فيه، ودرج منه، ليعود إليه، ولو يدب إليه دبيباً.

محلا[1] الضيعه والرزقات والراعى وصوت المنزات
ومحلا خرير الشلالات تحت سلاح السنديانى[2]
يا هل ترى برجع بعد بسكن بيت الربانى؟

* * *

محلا الضيعة محلاها محلا مناخا وهواها
كيف ما بدى أهواها بلا الهجر كفانى
راجع يا بيتى مشتاق بهواك وأنت بتهوانى

* * *

يقام حتى هذه الساعة، أسواق للأدب الشعبى تعقد حلقاتها فى الساحات العمومية، يؤمها الناس من الجنسين من كل حدب وصوب يستمعون مباراة الزجالين ويشتركون معهم فى الهزيج والإنشاد. وتمتاز هذه الاجتماعات العامة بمزة الارتجال التى لا أحمدها كثيراً لاضطرار مرتجليها إلى الارتكان على الذكاء وحده دون الروية والتبصر. وقد حدثونا عن إحدى هذه الحلقات وقد حضرها الدكتور طه حسين بك فقال الزجال مرتجلا

وحياتك يا طه حسين متى عاوز التنتين
عين الواحدة تكفينى خد لك عين وخلى عين

أما الزجال أميل مبارك صاحب ديوان «أغانى الضيعة» فهو نسيج وحده، لا يحتذى سواه من الزجالين، بل ينظم القصيدة فى شهر أو فى شهور، وما يزال بها نحتا وصقلا، تارة فى تنحية الكلمات الذاهبة فى الأدب مذهب المثل، وتارة فى استبعاد الكلمات العامية التى صارت شبه منسية أو هى فى حكم المندثرة الحوشية، حتى يبلغ الغاية من الرضى عنها. ويكفيه أن ينشدها مرة واحدة حتى تتلقفها الآذان، وتتداولها ألسنة الناس إنشاداً، وينقلها البريد إلى كل صوب يأوى إليه لبنانى فى بقاع الأرض

اشتقت لزقزقة العصفور وريحة هوا بلادى
بدى أرجع لم زهور عن حفة نهر الوادى

* * *

ربينا سنين وربينا شهور بالوادى بين الصخور
ربينا وكان يجى العصفور يشاركنا ع الزوادى

كم لمشاركة العصفور على الزاد من سحر روحى جذاب قد لا يستعذبه سوى أليف الضيعة والمرهف الحس!

* * *

لا يشغل الغزل حيزاً واسعاً فى ديوان «أغانى الضيعة» المتواضع، فكأن الحنين إلى المكان ألهى ناظمه عن السكان، وكأن حرصه على ذكر الدالية بمناقيدها، والتينة بما على فروعها من أعشاش، والعليق المتشابك عند الغدير، وتشوقه إلى قطف «كبوشه» أى عناقيده المزة الطعم، والصفصافة المنحنية الأغصان، والالتفاتات الكثيرة إلى ما جل ودق فى طبيعة أشياء وأشخاص الضيعة من جرود وسهول وجبال إلى البقرة والمعزة والدجاجة، أنساه عنصر الحياة الأول، عنصر المرأة، وهى سر الغريزة الحقيق، لا نسياناً كلياً، ولكنه توسل به توسلا عرضياً فجاء وكأنه يستغنى بالتلميح عن التصريح.

لما شافتنى تنهدت بدون حكى ورغرغت بالدمع قصدا تشتكى
واحمر ورد خدودها وبكيت خجل
ومن غصتى ما قدرت قلها شو بكى

لنلاحظ أن النظرة هى التى عطلت لغة الكلام، وأن الخجل هو الذى أحنى الرأس، وأن الغصة اشتركت مع النظرة فى تعطيل اللسان لخفق القلب.

ضميت[1] واقف وهى كمان وقفت مى
رحنا ما قلنا رجاع ولا ارجعى
وتنينا بها الوقت كنا بلا وعى
عرفنا شو حكيو قلوبنا من التكتكى

فهذه الصورة على ما فيها من بساطة التصوير الرائع لاضطرابات النفس وخلجات الوجدان ونبضات النزائز تماثل الصورة التالية وهى أكثر إمعاناً فى سذاجتها وأدق فى براءتها.

(١) أى ما أحلا. (٢) أى ما أحلى

(١) ضميت وتنيت: بمعنى بقيت

قديش[١] كنا نروح ع دْروب الهوا
وكبوش[٢] شِنّا محبي[٣] نقطف سوى
وكل ما حكينا ينقّزنا الهوى   قديش كنا نخاف لمح خيالنا
قديش كنا نروح نلعب بالحقول   ونفرفط الزعرور ونفز الجلول
وقديش كان بَـيّك لبيّ يقول   بعدو ولدْ لا تضربو كرما لنا

كم من مرة ذهبنا إلى الحقول وتخطينا الحواجز لنفرط الزعرور ؟ وكم كان يقول أبوك لأبى دع ولدك إكراماً لى ولا تضرب به لأنه لم يدرك بعد .

لناظم ديوان « أغانى الضيعة » ميول بينة إلى تسجيل كل ما يحيط بحياة القرية اللبنانية من ظواهر جوية وتغييرات مردها إلى تبدل فصول السنة وهى جد مضبوطة فى ربوعه يعرفها قطانه باليوم الواحد يمدون لها المدة ، ويرى طوالع الشتاء فى فصل الخريف ...

تجمعوا النحلات ورجعوا للقفير   ... ...
والشمس بردوا حبالها ، وناص القمر
والميْ شحت ما بقي لهـــا خرير

بردت أشعة الشمس وقل ضوء القمر ، وشحت المياه وقلت ، وعاد النحل إلى قفاره لأن البرية تتعرى فى الخريف .

ويستقبل الشتاء بابتسامة المتأهب :

محلا الشـــتا ومحلا البرد   لو عندك مونى[٤] تكفاك
وندف التلـــج وطق الشرد   والقعـدة حدّ الشـــباك
ومحلا الهوا بقلب الغـــاب   ومحلا الكبوة[٥] حد النار
والرعد وطـــرق المزراب

وهو يتشوق إلى نسيم الصيف من خلال زهور الحقل فى فصل الربيع .

رجع عالعش العصـفور   عا لحقلهْ طار الفرفور
المرجة فرشت أرضا زهور   تانيّم قمر نيسان

***

وبتشوف الندى بنيسان   عامدَى السهل وطولو
بتحسّب فوق الريحـان   الدنيـا مشتّابى لولو

على مدى السهل ، ترى الندى فوق الريحان فى شهر نيسان كأنه اللؤلؤ أمطرته السماء .

***

يعلم الشاعر مبارك أن عدد القاطنين جبال لبنان اليوم يساوى عدد المهاجرين المتناثرين فى أميركا الجنوبية والشمالية وفى المستعمرات البريطانية وسواها ، ويعلم أيضا أن لا سبيل ألبتة إلى عودتهم إلى قراهم إلا بالتحبيب والتشويق والتذكير ، ولم يتوسل بالموازنة بين مدن يسكنونها وهى عامرة ، وبين مساقط رؤوسهم وهى شبه مقفرة ، ولا بالمقارنة بين عواصم نزلوا بها وبين مباءات طفولتهم ومعقد ذكرياتهم ، بل ابتكر طريقة حوار وسؤال بين لبنانى مقيم وبين لبنانى مهاجر :

بتسألنى شو فى عندك   بالضيعة ، تنّك مهم[١]
عندى أحسن ما عندك   عندى بَسْطْ وعندك هم

***

عنـــدى البيت الربانى   والمعبور ودروب الكرم
وعندى قدحة وصـوّانه   والضبوه وتنـات الغرم

عندى البيت الذى ربيت فيه ، وعندى الطريق الموصل إلى كروم العنب والتين ، وعندى أيضا عدة التدخين عامرة بالتبغ وقداحة الشرارة .

فى عندى القعده بكّير   تحت صنـوبر ضيعتنا
وترويقه قُرّه وجـرجير   بتسوى العيشه وغربتنا

عندى أن الجلوس فى الصبح الباكر تحت ظلال الصنوبر وتناول طعام الفطور من الجرجير والقرة وهى من فصيلة الجرجير إلا أنها حريفة يساوى حياة بأكملها نقضيها فى الاغتراب .

ياما عبينا السـلة   تين أسود من تينتنا
ياما لعبنا عالتـله   نحنا وبنـات جارتنا

كم ملأنا السلة من التين ، وكم لعبنا على الربوة مع البنات

ويعود أيضا فينطق اللبنانى المهاجر فيصور خلجات صدره وأمنيات نفسه ويقول :

بعد بيفتح درب البحر   ولبنان بشوفلو صـوره
تخمين برجع للرزقات   ويميش عيشه مستوره

---

(١) قديش بمعنى كم الاستفهامية أى قدر أى شيء.
(٢) الكبوش هى عناقيد مليق
(٣) شنا محبي أى بذر عنبها كالحبوب
(٤) أى مؤونة الشتاء
(٥) الكبوة : النوم المتقطع المتهدم

(١) أى أنت رجل ذو أهمية

٨ - الزندقة
فى عهد المهدى العباسى
أصولها الفارسية
للأستاذ محمد خليفة التونسى

[بقية الكلام فى مذهب زرادشت وكتابه : التنوية : مرقيون وابن ديصان]

روى الراغب الأصفهانى أن « زرادشت شرع زواج الأمهات[١] » كما روى القلقشندى أن المجوس « يستبيحون فروج المحارم من البنات والأمهات ، ويرون جواز الجمع بين الأختين[٢] » كما روى الجاحظ فى أخباره فى الحمق أن ابن عوانة الكلبى قال : « استعمل معاوية رجلا من كلب فذكر يوما المجوس وعنده الناس ، فقال : لعن الله المجوس ينكحون أمهاتهم ! والله لو أعطيت مائة ألف درهم مانكحت أمى ! فبلغ ذلك معاوية فقال : قاتله الله ! أترونه لو زاده على مئة ألف فعل ! فعزله[١] »

وقال اليعقوبى عند كلامه فى الفرس : إنها « تنكح الأمهات والبنات ، وتذهب إلى أنها صلة لهن وبرهن وتقرب إلى الله فيهن[٢] » ، وينسب عبد القاهر البغدادى إلى المجوس هذه الأنواع وغيرها من الزواج كزواج بنات البنات وبنات البنين[٣] وقد ظلت ضروب الزواج هذه شائعة بين المجوس وغيرهم من الطوائف الأخرى حتى بعد فتح المسلمين فارس وظل المسلمون يعيبونهم بها ، وينكرونها عليهم ، وليس من همنا هنا أن نبين رأينا فى هذه الأنواع بل نرجئه إلى الكلام فى أثرها عند الزنادقة ، وحسبنا أن نبين أن العرب قد عرفوا فى جاهليتهم بعض هذه الأنواع وكانوا يستبيحونها ولا ينكرونها حتى جاء الإسلام فأنكرها عليهم وعلى غيرهم[٤] وحدد من يحل للانسان أن يتزوجهن ومن يحرم عليه الزواج منهن .

عرف العرب فى الجاهلية زواج الأم كما حكى عنهم المؤرخ اليونانى استرابو ، وعرفوا زواج امرأة الأب فقد تزوج الصحابى الجليل عمرو بن معد يكرب الزبيدى امرأة أبيه فى الجاهلية ، ولم يكن راضياً عنها[٥] كما تزوجت باهلة أم القبيلة المعروفة بهذا الإسم[٦] زوجها معناً أبا قبيلة باهلة ثم تزوجت بعده ابنه ، بل عرف العرب من ضروب الزواج ما يسمى نكاح الضمد وهو — كما جاء فى السيرة الحلبية — أن تجتمع جماعة دون العشرة ويتزوجوا امرأة واحدة[٧] ولذلك كله أسبابه الاجتماعية مما

(١) محاضرات الأدباء ج ٢ ص ٢٤١ .
(٢) صبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٩٤ ، ٢٩٥

(١) البيان والتبيين (طبعة السندوبى الثانية) ج ٢ ص ٢٠٤ .
(٢) تاريخ اليعقوبى (طبعة ليدن سنة ١٨٨٣) ج ١ ص ١٩٩ .
(٣) الفرق بين الفرق ص ١١ ، ١٨ ، ٧٥ ، ٢٧٠ ، ٢٨٥ ومواضع أخر .
(٤) سورة النساء : الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .
(٥) يتبين ذلك من البيت الآتى المنسوب إليه .
فلولا إخوتى وبنى منها ملأت لها بذى شطب يمينى
(٦) انظر ما كتب فى مادة باهلة فى دائرة المعارف الاسلامية .
(٧) روى كثير من المؤرخين فى سيرة الصحابى الجليل عمرو بن العاص أن أمه كانت زوجا للعاص وغيره فى وقت واحد ، وقد ادعى كثير منهم عمرا بعد ولادتها إياه ليكون ولده ، ولكن أمه ألحقته بالعاص دونهم لأنه — كما قالت حين سئلت — كان ينفق على بناتها لا لسبب آخر ، وقد بقى عمرو يعير بذلك حتى بعد إسلامه وممن عيره بذلك الصحابة الأجلاء عثمان وعمار بن ياسر والحسن عليهم رضوان الله .

* * *

ويرجع بغنى فراقيات عاعنات الشاعورة

ترى يسهل ركوب البحر فأعود أرى لبنان مرة ثانية ؟ ترى أعود إلى بيتى وكرى اكتفى بالعيش الهنىء ؟ أترانى أعود أخيراً إلى ضيعتى أسمع صرير الساقية فأتخذ منه لحنا للغناء والتذكر بالأحباب المفارقين وطنهم ؟

هيهات ! ! تلك أمان تختلج فى فؤاد المهاجر ، ولكن مغالبة الحياة ، وزحمة العمل ، والتقيد بروابط الزواج والنسل تهدىء حركة تلك الخلجات ، وتخفف من اضطرابها . أما وما برحت أبواب الهجرة مفتوحة للبنانيين ، وما دامت المدينة اللبنانية تجذب أبناء الضياع إلى حواضرها لتلفظهم من جديد إلى ميادين رحبة فى طلب الرزق ، فإن الزجال اللبنانى سيجد المعين الغزير الذى يبعث فيه روح الحنين والشوق فينشد القصائد الحية كما أنشدها أميل مبارك فى « أغانى الضيعة » .

حبيب الزحلاوى

لا يعنينا هنا الخوض فيه ، ويكفى أن نبين أنه من التمنت واللغو النظر إلى أنواع الزواج التى كانت تجرى عند المجوس بالعين التى ننظر إليها بها لوأنها وقعت الآن ، فقد تحولت أسبابها الاجتماعية ، وصرنا الآن ننكرها ونعدها فاحشة ومقتاً ، ونرجح أن زرادشت لا يسأل وحده عن هذه الأنواع من الزواج ، فهو كما نرجح لم يشرعها ، وكل ما عمل أن أقرّها فبقيت سارية بين المجوس ، وكان لها أثرها عند الزنادقة قبل عهد المهدى العباسى وأثنائه وبعده ، فقد زاولها بعض الزنادقة فى عهده على ما سنبينه إن شاء الله .

وقال الشهرستانى فى كتابه « الملل والنحل » ما نصه : « ومما أخبر به زرادشت فى زندوستا ، قال : سيظهر فى آخر الزمان رجل اسمه أشيزريكا ومعناها الرجل العالم بالدين والعدل ، ثم يظهر فى زمانه بلياره فيوقع الآفة فى أمره وملكه عشرين سنة ، ثم يظهر بعد ذلك أشيزريكا على أهل العالم ويحيى العدل ويميت الجور ، ويرد السنن المغيرة إلى أوضاعها الأولى ، وينقاد له الملوك وتتيسر له الأمور ، وينصر الدين الحق ويحصل فى زمانه الأمن والدعة وسكون الفتن وزوال المحن » .

ونحن لا نعدم ملامح أشيزريكا هذه فى كل المنقذين كما تصورتهم الفرق الفارسية والإسلامية[1] التى آمنت بهـــم وانتظرتهم ، وهذه الملامح تتضح لنا فى المهدى الذى آمن به الشيعة العلويون على اختلاف طوائفهم ولا يزال باقياً فيهم حتى الآن وهو ركن من أركان مذهبهم ، كما تتضح ملامحه فى المهدى الذى اخترعه العباسيون وآمنوا به ، ونحن نرجح — وسنبين الأسباب — أن أبا جعفر المنصور إنما سمى ابنه محمداً — المهدى حين رأى الشيعة العلويين ينادون بالمهدى منهم ، واخترع أولئك وهؤلاء الأحاديث فى المهدى ليشدوا بها أزرهم ، كما اخترع الأمويون منقذاً سموه السفيانى يعيد إليهم مجدهم وكان ذلك فى أول عهد الأمويين حين وقع الخلاف بين أفراد البيت الأموى فمهد لهم شياطين الشيعة فلم يكذبوا بالسفيانى بل صدقوا به . غير أنهم نحلوا النبى عليه السلام من الأحاديث ما يدل على أن السفيانى بعد ظهوره وذيوع أمره وسلطانه وجوره فى الناس سيأتى له المهدى من آل البيت فيقتله ويملأ الأرض عدلا وأمنا كما ملأها السفيانى جوراً وخوفاً فأسندوا بذلك إلى السفيانى مهمة بلياره الفارسى وإلى مهديهم مهمة أشيزريكا ، وفى ذلك ما فيه من الإشارة إلى قيام الدولة العباسية بعد الأموية ، وللزنادقة مهديوهم المنتظرون كلما ساءت الأحوال واحتاج الأمر إلى مخلص ، فمنهم مانى ومزدك وأبو مسلم الخراسانى والمقنع صاحب الزنادقة المبيضة وعبد القهار صاحب المحمرة فى عهد المهدى العباسى ، ومنهم بعده بابك الخرمى صاحب الفتنة التى وقفت الخلافة عاجزة عن إطفائها نحو عشرين سنة ... وقد كان لفكرة المنقذ أثر كبير فى الزنادقة ، وإن كان هذا الأثر فيما نرجح يرجع أكثر ما يرجع إلى إيحائه فى النفوس كلما تعقدت الأمور الاجتماعية واحتاج الحال إلى منقذ . فأثر هذا الإيحاء أكثر من أثر الاطلاع على ما كتب زرادشت وغيره .

قدمنا أن زرادشت خلف مذهباً وكتابا .

فأما المذهب فقد تحدثنا بما يهمنا منه فيما سبق بقدر مايسع المقام ، وقد اتضح لنا من بيان ما بينا منه أن زرادشت كان فيلسوفاً ومصلحاً ومشرعاً ولم يكن نبياً ولا متنبئاً ولا صاحب دين كما نفهم من معنى الدين بالرغم من أن مذهبه يحتوى على بعض الشعائر والآراء التى تحسب من الدين ، فليس المقصود بتلك الآراء فى الكون إلا أن تكون أساساً للآراء الفلسفية والتشريعات الإصلاحية التى هى عماد المذهب وأهم مافيه ، كما أن تلك الشعائر القليلة لم يقصد بها التعبد المحض بل الرياضة النفسية ومثلها فى ذلك مثل نظيرتها فى الفلسفة البوذية والبرهمية فى الهند والكنفشيوسية فى الصين ، بدليل تفضيل زرادشت العمل فى الحياة على الصلاة والصوم والأدعية والقرابين ، فعنده أن من يصلح الأرض ويبذر فيها الحب ويرويها أفضل ممن يقرب ألف

(١) المصادر التى يمكن الرجوع لتحقيق هذا الأمر كثيرة جدا والمهديون ومن على شاكلتهم من العلويين والفرس كثير ، وخاصة من الشيعة العلوية وسيرهم مشتتة فى كتب التاريخ وكتب الملل والنحل : كتواريخ الطبرى ، وابن خلدون ، واليعقوبى ، وابن الأثير ، والمسعودى ، وابن خلكان . وتاريخ بغداد لأبى بكر البغدادى ، والتنبيه والاشراف للمسعودى ومعجم البلدان لياقوت ، وكتاب الملل والنحل للشهرستانى ، والفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ، والفهرست لابن النديم ، ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهانى ، وأمالى المرتضى ، والأخبار الطوال للدينورى والفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادى ، وتاريخ مختصر الدول للملطى ، ودوائر المعارف العامة .

قربان ومن يصلى عشرة آلاف صلاة ومن يدعو عشرة آلاف دعاء، بل إنه حرم الصوم لأنه يضعف الإنسان .

وأما الكتاب الذى جاء به زرادشت فهو أفستا Avesta ويظهر أن هذا الكتاب كان يحتوى على آراء غامضة رفيعة لا قبل للعقول العادية حينذاك بفهمها وقبولها بدليل عجز الكثير منهم عن ذلك مما جعلهم يحيطونه بكثير من الخرافات، وبدليل ما أدى إليه غموضه عند الكثير من اضطرار زرادشت إلى شرحه بكتاب يسمى « زندافستا Zand-avesta » ثم إلى شرحه الشرح بكتاب سماه « بازند » ثم إلى شرح علمائهم هذا الشرح بكتاب سموه يازده، وبدليل ثالث هو منع كيستاسب تعليمه العامة[1]، وقد قدمنا الكلام فى هذا التحريم وسداد رأى كيستاسب فيه، ولم يكن لزرادشت فى هذا الكتاب الافضل تقييد ما ارتضى هو وحكماء الفرس من آراء بعد الاستطلاع والمشاورة كما قدمنا فى بيان مذهبه، ومن أجل ذلك نحن فى غنى عن الخلاف الذى أثار الشهرستانى والمسعودى والقلقشندى فيما إذا كان هذا الكتاب من تصنيف زرادشت أم هو وحى نزل عليه من السماء[2]، وقد كان لهذا الكتاب أثره فى نشأة الزندقة واشتقاق لفظها نرجئ بيانه إلى موضعه من هذا البحث حيث الكلام فى المانوية لأنه بهم أمس ولبيان مذهبهم ألزم، ونشير هنا إلى أن كيستاسب الملك صان هذا الكتاب فى هيكل باصطخر ووكل به الهرابذة بعد كتابته بالذهب على جلود البقر[3] ومن أجل ذلك سمى ذلك المكان « دزنبشت » أى حصن الكتاب و « كوه نبشت » أى جبل الكتاب[4]، وهناك بناء ضخم على هيئة برج ما يزال إلى اليوم يعرف بكعبة زرادشت فى أطلال مدينة اصطخر عاصمة الفرس أيام الدولة الساسانية وهى بالقرب من مدينة برسبوليس عاصمتهم أيام الدولة الكيانية[1].

سادت الزرادشتية البلاد الفارسية ودان بها الملوك والعامة منذ ظهر زرادشت، فقد بذل كيستاسف جهداً جباراً لحمل الناس عليها وتعرض من أجلها لثورة من أحد عماله وفقد فيها ابنه وكادت تدك ملكه لولا أن أسعفه الحظ بموت غريمه[2]، وقد بذل الملوك بعده جهدهم حتى استأثرت الزرادشتية بفارس وبقيت متسلطة عليها حتى كانت موقعة أربل بين الإسكندر الأكبر ودارا الثالث سنة ٣٣١ ق . م وانهزم دارا فضاع استقلال فارس وانهارت الوحدة الفارسية، وعم الاضطراب البلاد طوال حكم ملوك الطوائف الذين حكموا البلاد متفرقين أكثر من خمسة قرون ونصف قرن بدأت عقب هزيمة دارا آخر ملوك الكيانية سنة ٣٣١ ق . م وانتهت بقيام أردشير بن بابك بن ساسان أول ملوك الساسانية سنة ٢٢٦ م وران عليها طول تلك المدة الانحلال العقلى والخلقى والسياسى، وكان لذلك كله أثره فى ضعف الزرادشتية، ويقال إن الإسكندر أحرق كثيراً من كتب الفرس العلمية وفيها جزء كبير من كتاب زرادشت[3] وأحرق وهدم كثيراً من الآثار الفارسية المكتوبة على الخشب والمبانى ونقل كثيراً منها إلى مصر وبلاد اليونان وكان قد أمر بترجمة بعض ما وجد من كتب فلما ترجم أحرق أصوله، فلما قام أردشير ابن بابك سنة ٢٢٦ م وَوَحد البلاد الفارسية وحاول ما استطاع أن يجمع ما تفرق من هذه الذخائر وبعث فى طلبها الرسل إلى الهند والصين ومصر وبلاد الروم، وجعلها أساس النهضة العلمية فى فارس، كما جمع ما استطاع من كتب الزرادشتية واعتنقها وعمل بها فأرجع لها بعض سلطانها الذى فقدته أثناء ملوك الطوائف[4].

---

(١) مروج الذهب للمسعودى ج ١ ص ١١٠، والتنبيه والاشراف له ص ٩٠ والعبر لابن خلدون ج ٢ (القسم الأول) ص ١٦١، وابن الأثير ج ١ ص ١٠١، ودائرة معارف البستانى م ٩ ص ١٩٧، ٢٠٧، ٢٦٩، وصبح الأعشى ج ١٣ ص ٢٩٤، ٢٩٥ .

(٢) من المبالغة والاغراق فى الضلال والتضليل ما رواه عبد القاهر البغدادى لرجل إسمه أبو القاسم الدمشقى من فرقة تسمى البهشمية (نسبة إلى أبى هاشم المعتزلى) وهى من فرق المعتزلة الخارجة عن الاسلام، فقد زعم «أن الحروف التى فى القرآن هى الحروف التى فى كتاب زردشت المجوسى بأعيانها لا على أنها مثلها» (الفرق بين الفرق ص ١٨٥) .

(٣) المصادر المذكورة فى الهامش ص ١١ .

(٤) ما كتبه الأستاذ سترك M. Setrck فى مادة اصطخر (دائرة المعارف الاسلامية) .

(١) المصدر السابق .

(٢) الأخبار الطوال ص ٢٦، ٢٧ .

(٣) المصادر المذكورة فى الهامش .

(٤) الفهرست لابن النديم ص ٣٢٣، ٣٣٤، نقلا عن كتاب النهمطان لأبى سهل بن نوبخت (طبع المطبعة الرحمانية سنة ١٣٤٨ هـ) وتاريخ إيران للاستاذ شاهين مكاريوس ص ٢٩٣ (طبع المقتطف سنة ١٨٩٨ م) .

كان ضياع جزء من كتاب زرادشت إبان الفتح المقدونى مما أوهن الزرادشتية أيام ملوك الطوائف وهيأ لقوم الإتيان بآراء ومذاهب جديدة لم يأت بها زرادشت وحكماؤه ، كما هيأ الفرصة لإحياء كثير من الخرافات والعقائد القديمة التى هى أدنى إلى عقول العامة من الصفوة التى اختارتها الزرادشتية ، لكن ذلك لم يمحها ويستأصلها ، فقد بقيت حية فى فارس أثناء حكم ملوك الطوائف على ضعف واستحياء ، فلما جاء بنو ساسان أنهضوها وشدوا سلطانها وجعلوها دينهم الرسمى ، وظلت قائمة حتى بعد فتح المسلمين فارس ، وكانت قد تسللت فى الجاهلية إلى البلاد العربية ودانت بها بعض قبائلها النازلة على حدود فارس ، وآمن بها بعض الصحابة قبل إسلامهم[١] ، وكان يدين بها كثير من الفرس فى العصر الإسلامى عن رضا من المسلمين عند ماسنوا بهم سنة أهل الكتاب كما بينا فى مقال سابق[٢] فتركوهم عليها واكتفوا منهم بالجزية ، وكان مما أيدها أن فرض المسلمون الجزية على من أسلم ومن بقى على عقيدته على السواء فى أكثر سنى الحكم الأموى والعباسى ، وقد اصطنع المسلمون كثيراً من أهلها فى الأعمال التى يجهلها الحكام المسلمون كأعمال الدواوين ، بل كان لأهلها ضلع فى انتصار العباسيين على الأمويين ، ودارت بينهم وبين المسلمين مجادلات فى المهدين معاً ، وتبادلوا فى ذلك كتب الجدل ، وكانت لهم أياد على كثير من العلوم المحدثة فى الإسلام إلى وقت متأخر ، ويقول الأستاذ لينجورث Longworth Dames :

« إن القصص التى يستطاع إرجاعها إلى أفستا بقيت معروفة فى زرنكة[٣] حتى زمن الفردوسى سنة ١٠٠٠ م[٤] » وكان لهذه القصص فضل على الفردوسى إذ كانت بعض مادته فى تأليف الشاهنامه ، وقد انتشرت الزرادشتية حتى فيما وراء بلاد فارس كالصغد وبلاد الترك قديماً فيما وراء النهر فى العصر الإسلامى فقد امتدت إلى هذه البلاد فى القرن التاسع الميلادى[٥] ، وكانت فى

(١) الأعلاق النفيسة لابن رسته ص ٢١٧ ، والمعارف لابن قتيبة ٢٩ .

(٢) الرسالة : العدد ٦٥٢ ص ١٤٣٢ ، ١٤٣٣

(٣ ، ٤) زرنكة الأسم القديم لاقليم سجستان (مادة أفغانستان فى دائرة المعارف الاسلامية .

(٥) انظر ما كتبه الأستاذ بارتولد Barthold فى مادة باكو فى دائرة المعارف الاسلامية .

الهند فى القرن الرابع عشر الميلادى وأهلها يسمون هناك الإكنواطرية[١] ، بل لقد نشرها هؤلاء الهنود وإخوانهم من الفرس فيما حول باكو فى القرن الثامن عشر[٢] ، وهم لا يزالون إلى الآن بالهند ويسمون الفرسيين ، وكان أولهم قد هاجروا إليها من فارس عند ما فتحها المسلمون[٣] ولم يضعف شأن الزرادشتية — إلى ما قدمنا — إلا مرقيون وابن ديصان ومانى .

محمد خليفة التونسى

(١) نهاية الأرب ج ١ ص ١٠٣ ، وجاء فى هامش الصفحة أن المترجم الألمانى لكتاب الملل والنحل لشهرستانى أفاد أن الاكنواطرية مأخوذة من أجنيهترا وهى نار المقدسة التى تتأجج إكراما للاله أجنى .

(٢) ما كتبه الأستاذ بارتولد فى مادة باكو فى دائرة المعارف الاسلامية

(٣) المصدر السابق ، وكتاب « تاريخ إيران » للأستاذ شاهين مكاريوس ص ٢٢٣ .

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٧٦١ — فان شهدت عليه بالمعصية فاشهد له بالطاعة

الفصول والغايات لأبي العلاء المعري :

اعلم — أيها المسكين — أن الأيام شهود لك وعليك ، فإن تمالأت على تزكيتك فأنت السعيد ، وإن توافقت على تكفيرك فأنت حامل العبء الثقيل ، وإن جرح بعضها شهادة بعض فإن الله كريم . أيها اليوم الحاضر ، إن أمس ذهب وأنت أقرب الأيام إليه ، وقد حمل عنى كتابا يشتمل على الغفلة والتفريط ، فدرا كه دراك ، إن فاتك فأنا أحد الهالكين . وإن عجزت أن تلحقه فان الغد أعجز منك . وكيف تدركه وغداتك لا ترى ضحالك ، وأصيلك لا يتفق مع الهجير ، والله على المتمنات مقيت . فناد فى أثره علّه بإذن الله يسمع دعاء الداعين ، فإن أجابك فقل : إن البائس فلانا يسألك أن تاتى الصحيفة من يدك . ولو نطق لحلف لا أستطيع ، أنا أمين عالم الدفين ، ولو فعلت لرهبت من المعصية كما تخاف ، ولكن أنا وأنت عند الله كفرسى رهان ، فإذا شهدت عليه بالمعصية فاشهد له بالطاعة(١) .

٧٦٢ — لبعد فهمهم وتأخر معرفتهم

كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري :

قد رأينا الله تعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحى ، وإذا خاطب بنى إسرائيل أو حكى عنهم جعل الكلام مبسوطا . فما خاطب به أهل مكة قوله سبحانه (إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له ، وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب والمطلوب(١)) وقوله تعالى : (إذن لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض) وقوله تعالى : (أو ألقى السمع وهو شهيد) فى أشباه لهذا كثيرة . وقلما نجد قصة لبنى إسرائيل فى القرآن إلا مطولة مشروحة ومكررة فى مواضع معادة لبعد فهمهم ، وتأخر معرفتهم .

٧٦٣ — إن أعاد كلام نفسه سلمت له ما قال

كان أبو بكر الباقلانى (العالم المتكلم المشهور) كثير التطويل فى المناظرة مشهورا بذلك عند الجماعة ، وجرى يوما بينه وبين أبى سعيد الهارونى مناظرة ، فأكثر القاضى أبو بكر الكلام ووسع العبارة وزاد فى الاسهاب ثم التفت إلى الحاضرين وقال : اشهدوا على ، إنه إن أعاد ما قلت لا غير لم أطالبه بالجواب . فقال الهارونى : اشهدوا على ، إنه إن أعاد كلام نفسه ، سلمت له ما قال .

٧٦٤ — الحياء ، الخجل ، الوقاحة

(الذريعة) للراغب : الحياء انقباض النفس عن القبائح ، وهو من خصائص الإنسان . والخجل حيرة النفس لفرط الحياء ، ويحمد فى النساء والصبيان ، ويذم باتفاق من الرجال . والوقاحة مذمومة بكل إنسان إذ هى انسلاخ من الإنسانية ، وحقيقتها لجاج النفس فى تعاطى القبيح ، واشتقاقها من حافر وقاح أى صلب ، وبهذه المناسبة قال الشاعر :

يا ليت لى من جلد وجهك رقعة فأقد منها حافراً للأشهب(٢)

٧٦٥ — اسم غازى

(وفيات الأعيان) :

كان أبو الفتح غازى بن صلاح الدين صاحب حلب ملكا مهيبا عالى الهمة حسن التدبير والسياسة .

(١) ما أرق عبارات المعري فى (الفصول والغايات) وما أسمها ! لله در كلامه !

(١) يراجع قول الأديب الكبير الأستاذ سيد قطب فى هذه الآية فى كتابه البارع (التصوير الفنى فى القرآن) ص ١٩٣ .

(٢) ومما قيل :

لا يعمل المبرد فى وجهه بل وجهه يعمل فى المبرد

يحكى عن سرعة إدراكه أشياء حسنة ، منها أنه جلس يوما لعرض العسكر ودوان الجيش بين يديه ، وكان كلما حضر أحد من الأجناد سأله الدوان عن اسمه ليتزلوه حتى حضر واحد فسأله عن اسمه فقبل الأرض ، فلم يفطن أحد من أرباب الدوان لما أراد ، فعادوا إلى سؤاله فقال الملك : اسمه غازى ، وكان كذلك ؛ وتأدب الجندى أن يذكر اسمه لما كان موافقا لاسم السلطان ، وعرف هو مقصوده .

٧٦٦ — وجه المليح أطل من شباك

قال القاضى محيى الدين بن قرناص :

وحديقة غنـاء ينتظم الندى بفروعها كالدر فى الأسلاك
والبدر فى خلل الغصون كأنه وجه المليح أطل من شباك

٧٦٧ — ليس هذا من سؤال القضاة

فى (نفح الطيب) :

خرج أبو حازم القاضى من داره إلى المسجد يريد الصلاة ، وإذا بسكران يمشى فى الشارع فقال الناس : سكران سكران !

فوقف القاضى وقال هاتوه فأدنوه منه .

فقال له القاضى : من ربك ؟ (يريد امتحانه)

فقال له السكران : ليس هذا من سؤال القضاة (أصلحك الله) إنه من سؤال منكر ونكير .

فغلب القاضى الضحك وقال : خلوا سبيله .

٧٦٨ — عواد المرضى

عاد رجل مريضا فقال له ما تشتكى ؟ قال : وجع الخاصرة . قال والله كانت علة أبى فمات منها ، فعليك بالوصية يا أخى . فدعا المريض ولده وقال يا بنى أوصيك بهذا لا تدعه يدخل على بعد هذه .

***

عاد رجل مريضا فلما خرج قال لأهله لا تفعلوا فى هذا كما فعلتم فى الآخر ، مات وما أعلمتمونى .

***

عاد بعضهم مريضا فلما خرج قال لأهله : أحسن الله عزاءكم! فقالوا إنه لم يمت ، قال : قد عرفت ، ولكنى شيخ كبير لا أستطيع النهوض فى كل وقت ، وأخاف أن يموت فأعجز عن المجىء لأعزيكم به .

***

دخل قوم على مريض فأطالوا . ثم قالوا : أوصنا . فقال : أوصيكم ألا تطيلوا الجلوس عند المريض إذا عدتموه .

رثاء نسيب عريضة

هكذا حدث . . . !

للدكتور أحمد زكي أبو شادي

(ألقى فى الحفلة الذكارية للشاعر الكبير المرحوم نسيب عريضة لمناسبة صدور ديوانه اليتيم « الأرواح الحائرة » ومرور أربعين يوماً على وفاته . وقد أقامت الحفلة لجنة أدباء الجالية السورية « والرابطة القلمية » فى نزل تاورز فى بروكلن بمدينة نيويورك مساء الأربعاء ١٥ مايو سنة ١٩٤٦ ، وكانت الحفلة برعاية سعادة الدكتور قسطنطين زريق القائم بأعمال المفوضية السورية فى وشنطن)

ما كان عمرك موهوباً لإنسان ولا لإحساس هذا العالم الفانى
ولا لأرض وأوطان حننت لها فالعبقرية لم تخلق لأوطان
والشاعرية لم تُقصَر منازلها على الحياة ولو من رسم فنان
بل كان عمرك آيات هتفت بها ولم تفسر بإنجيل وقرآن
ولم تكيف بأوصاف ننمقها ولم تقدر بمقياس وميزان
ولم تخصص، فحتى أنت كنت بها فى نشوة بين مشدوه وحيران
ملء الزمان تُناجينا وتُمدنا وتحمل النور ميراثاً لأزمان
وتبعث الوحى فينا وهو ينقلنا إلى عوالمَ من حسن وإحسان
تُنام بالروح أطيافاً وأخيلة علوية ، وجناناً دون جنّان
أكُنَّ من صنعك الفنان أم نشأت
عن معجزات سمت عن خَلق إنسان؟
لعل فى مقبل الأجيال عارفها
إن فات تعريفُها روحى ووجدانى !

***

ياشاعر الهمسات السامیات بنا المبدعات لنا قدسىَّ ألحان
كأنها صلوات لا حدود لها يغنى الوجود بها من قلبك الحانى
جم التواضع ، جم العلم ، يسعده أن لا يميز فى مدح وشكران
وليس يبخس إلا نفسه أدباً كأن أخلاقه أخلاق ديان
وليس يعرف غير الحب منقبة
ويحسب الزهو من أوزار شيطان
يحنو على الشعب فى البلوى ويسعفه
ويستثير شعور الغافل الوانى
ويرفض الضَّيم حتى لو أتى ملك به ، وكان رسالاتٍ لأديان
ياحامل العبء فى إيقاظ أمته حملت عبئين بل رزأين فى آن
ما بزَّ آثارَك الغراء مبتدع ولا بنى فوق ما أعليته بانى !

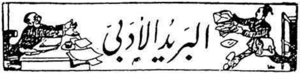
***

تركتُ مصر وقلبى ذائب حرَقاً وجئت أطفىء لوعاتى ونيرانى
وكنت جانبت أطياف الربيع بها
وقلت حسبى بكم جنات (لبنان)
ومذ وفدت رأيت الربيع مكتئباً كأن أحزانه من لون أحزانى
فلا الجمال قرير فى مباهجه ولا النسيب على روض وأفنان
كأن (آذار) عاداه وباعده وما رأت عينه أفراح (نيسان)
ما للبشاشة قد ماتت بنضرته وللأزاهر ماهشَّت لبستانى؟
وللجداول قد غصَّت بحسرتنا كأنها لم تكن راحاً لريحان
وللنسيم قتيلاً بعد عاصفة وللسحائب فى رعد وإدجان
وللطيور التى كانت مغردة تنقّر العشب فى يأس وإذعان
وللنواطح لم يشمخن فى نظرى وللروائع قد خيَّبن حسبانى ؟
شاهت جميعاً بعينى بعد ما حرمت لقاء من عشت أهواه ويهوانى

***

جعلت قلبك قرباناً وتقدمة للناس، والآن ماحبى وقربانى ؟
وما رثائىَ مَن آثاره عَمم وكل بيت له كنز لديوان ؟
غنيتَ عن كل صيت من عوالمنا وعن بكاء وتمجيد وعرفان
وعشت فينا غريباً ، فلتمد ألَقاً لموطن الأصل أو للموطن الثانى
فأنت وحدك تدرى الآن ما عجزت
عنه مواكب أذهان وأذمان
وحسبنا ذكريات منك عاطرة وموحيات بأنغام وألوان
وخالدات من الإيمان ناصعة تهدى العزاء وتسمى كل إيمان
من مات موت شهيد لم يمت أبداً وقد تُبدل أبدان بأبدان
ومن تكن نفسه شعراً وفلسفة وبسمة من أغاريد وأوزان
يأبى الإسار وإن وافى مجاملة
من الشموس ، ويأبى العالم الفانى !

(نيويورك) أحمد زكي أبو شادي



في العروض والقوافي :

كان هذا الضعيف نبه في مقالاته (في العقد) و (في إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب) في (الرسالة الغراء) على التشديد في القوافي المشددة ووجوب تركه والاكتفاء بالسكون حتى لا يختل الوزن . وقد وجدت في (المخصص) — ج ١٣ ص ١٨٤ — وأنا أراجعه هذا الخبر الطريف :

« قال ابن الأعرابي : نزل بعض العرب بامرأة منهم ، فأحسنت ضيافته ، فقال : ما رأيت أم بيت أحسن ثغرا منك ، وراودها على القبل ، فزبنته ، فقال :

تقول أم عامر بالغمز : قِلْ
فان تَقِل فعندنا ماء وظلْ
وإن أبيت فالطريق معتدلْ
أما الذي سألتنا فلا يحلْ »

فرأيت محقق الكتاب العلامة اللغوي الكبير الشيخ محمد محمود الشنقيطي — رحمه الله — قد ضبط (ظل ، يحل) بالتشديد مع السكون كما ضبط مثل ذلك كثير من المتقدمين . وربما حملت مكانة العلامة الشنقيطي محقق الكتب القديمة وناشرها على المضي على الخطأ ، والحق هو ما أعلنته في تلك المقالات . ولم أزل منذ دهر طويل أفتش عن نص لإمام من المتقدمين يؤيد انتقادي . فلقيت (الضالة المنشودة) عند أبي العلاء المعري ، ولا كلام لعالم من بعد قول الشيخ « الشيخ بالنحو أعلم من سيبويه وباللغة والعروض من الخليل » كما روى ابن القارح في رسالته .

قال أبو العلاء في كتابه (عبث الوليد) ص ١٨٠ :

« ومن التي أولها (قالت الشيب بدا قلت أجل) كان على القوافي المشددة مثل (الأفل والأشل) تشديد ، وذلك عندهم خطأ لأن التخفيف لازم . وكان بعض أهل العلم يعاب بأنه توجد بخطه قول لبيد :

يلمس الأحلاس في منزله بيديه كاليهودي المصل

مشدد اللام في (المصل) وحكي أن عثمان بن جنى كان يرى في مثل هذه الأشياء أن يكون التشديد من تحت الحرف . والأجود أن يعلم الناظر أن التشديد لا يجوز في مثل هذه المواضع » .

محمد إسعاف النشاشيبي

من مزايا الرسالة :

من مزايا الرسالة ، وبحمد الله ما أكثر مزاياها ، أن حولها نفراً من كرام الكاتبين وحذاق الناقدين ، قريبة دارهم ، حديدة أبصارهم ، لا يدعون غلطة تمر حتى يصححوها ؛ فاذا بدت لعين عاجز مثلي غلطة ، وبعث تصحيحاً لها ، وجدهم سبقوه إلى ذكرها ، فيضيع تعبه ويذهب هباء .

ولقد سُبقت في هذه الفترة مرات : بعثت أستدرك على أستاذنا النشاشيبي أنه لم يذكر وجه الصواب في تفسير بيتي حسان ، فاذا بالاستاذ محمد الطنطاوي (وبارك الله في طنطا بلدنا وبلده) يسبق حفظه الله إلى الاستدراك . وبعثت بالجواب بشأن بيتي عروة فسبقني بلديّنا الفاضل السباق إلى الجواب عني (جزاه الله خيراً) . وأرسلت كلمة في المحدث فسبقني إلى بيانها الأديب الكبير (القارئ) (السهمي) النشاشيبي (المسلم) ؛ وكثرة الأسماء دليل على شرف المسمى . ولكن السهمي لم يصحح تفسير الأستاذ الكبير العقاد لكلمة المحدث ؛ فقد ذكر (أن المحدث الذي يسمع كلام الله) مع أن الذي قالوه في المحدث أنه الملهم ، أنظر (البخاري ٤ : ١٤٩ ومسلم ٧ : ١٤٥ ومسند أحمد ٢ : ٣٣٩)

أما ما كتبه أستاذنا بتوقيع (مسلم) بشأن الطلاق ، وقوله إن (هذا الذي يرضى النبي محمداً) فان الكلام في رده طويل ، وليس يرضى محمداً ولا رب محمد إلا قول استنبط من محكم الكتاب ، أومن صحيح السنة ، وجاء الاستنباط فيه من (أصوله) واقترن بدليله .

علي الطنطاوي

تصويب

(حتى) في السطر التاسع من العمود الأول من الصفحة ٥٧٥ . هي (حين) وفي المقالة الثانية من مقالات يوم الجلاء تطبيعات كثيرة بعثت بتصويبها .

« فكرة الشر » واقترانها بسلوك الفنان :

إلى أخي الأستاذ جبريل خزام :

تناولت — بالنقد — بعض ما جاء في مقالي « الأدب والمجتمع » وأودُّ أن ألفتَ نظرك إلى « فكرة الشر » واقترانها بمظاهر سلوك

الفنان فى بعض الأحيان ، فأقول : إنه لا ينبغى أن نحكّم « النظرة المادية » فى هذا الموضوع الخطير ، فيكون الشخص — بناء على هذه النظرة — شرّيراً ... كلما ارتكب فعلا يدل — فى ذاته — على قيام فكرة الشر عنده ؛ بل يتعين علينا أن نحاول استكناه « النوايا » و « البواعث » الدافعة إلى ارتكاب الفعل ، فإذا دل البحث عن سوء نية الفاعل ، ألصقنا به تهمة الشر بناء على ذلك . وهذه هى « النظرة الشخصية » التى نبّه إليها دُعاة المدرسة الإيطالية وعلى رأسهم الفقيه لبروزو ، والذين كان لهم فضل توجيه نظر الباحثين إلى وجوب تقدير العقوبة على أساس من دراسة دوافع السلوك وبواعث الأعمال والعوامل الاجتماعية المحيطة المؤثرة .

والنفس الفنانة كثيراً ما يستحثها توفّر الحس فيها وتمدّد شعورها بجوانب الحياة المختلفة — علويها وسفليها — إلى التورط فى الشر والانكباب عليه ... ولا يكون هذا السلوك إلا دلالة قاطعة على ما تلاقيه هذه النفس الثائرة الجدّ — التى تنطوى على الخير المحض — من عسف وإعنات من جانب المجتمع والقائمين على رعايته . وبالتالى يروحُ الرجلُ — المتميز بأى ضرب من ضروب الامتياز — يُغرق همومه ويعالج إخفاقه فى الحياة بالتهالك على المتع الحسية واستيفاء اللذات الرخيصة . وما هذا السلوك من جانبه — فى واقع الأمر — إلا برهان قوى على قوة الحيوية فى نفسه وتمدد طاقاته وعدم ارتضائه الاستكانة إلى الظلم ومذلة الهوان!

ولا أظن أحداً يتشكك فى حُسْن طوية « النُّواسىّ » ونقاوة سريرته ورحابة آفاقه ؛ وإن فيما أورده المعنيّون بالبحث فى طبيعة نفسه ، ما يُستَشْعَرُ منه تشبث هذا الفنان الممتاز بمعاصم الكبرياء وقوة شعوره بذاته .

ولعل فيما أثبته الأستاذ الفاضل عبد الرحمن صدقى عن « بودلير » فى كتابه « الشاعر الرجيم » ما يؤكد ماذهبنا إليه فى إمكان رد أغلب سيئات الفنان وحماقاته إلى ظروف الأسرة وقساوة المجتمع!

عبد العزيز الكرداني

تجديد علم المنطق للأستاذ عبد المتعال الصعيدي

قامت مكتبة الآداب بدرب الجماميز بطبع كتاب تجديد علم المنطق فى شرح الخبيصى على التهذيب فى « مطبعة الرسالة » وهى الطبعة الثانية من هذا الكتاب ، وتمتاز على الطبعة الأولى بكثير من الزيادات والتنقيحات .

وقد جاء الكتاب كاسمه تجديداً فى شرح الكتب الأزهرية وفى طبعها وترتيبها ، وما إلى هذا مما جاء من التجديد والتهذيب فيه ، بعد أن مضت عليها أزمان تطبع فيها أقبح طبع ، وتظهر فى أقبح ترتيب ، وتتجافى عما حدث فى علومها من تجديد ، فتتغير الدنيا ولا تتغير ، وينقلب العلم من حال إلى حال وهى باقية على حالها ، ويسير إلى الأمام بخطى واسعة وهى واقفة فى مكانها ، وتقف تبعاً لها عقول الطلاب ، وتتأثر بجمودها وسوء ترتيبها وقبح طبعها ، لأن عقل الطالب يتأثر بالكتاب فى أسلوب بحثه ، وفى طريقة ترتيبه ، وفى هيئته وشكله .

وقد بدأه مؤلفه الأستاذ عبد المتعال الصعيدى بمقدمة بين فيها ماوصل إليه المنطق عند علماء اليونان ، وعند علماء العرب ، وعند علماء أوربا ، وبين فيها كيف يجرى المنطق فى اللغة العربية ، وقد وضعه علماء اليونان على أساليب اللغة اليونانية ، وهذا إشكال قد أثاره الإمام الشافعى رضى الله عنه ، وتأثر به رجال الأدب والشعر الذين أنكروا أسلوب المنطق اليونانى ، كأبى عبادة البحترى من الشعراء ، وكابن الأثير من علماء الأدب ، فحل المؤلف هذا الإشكال فى مقدمته أحسن حل ، وأنصف المنطق اليونانى من الذين أزروا به من رجال الشعر والأدب .

ثم عنى الأستاذ بعد هذا بالموازنة بين المنطق القديم والمنطق الحديث ، فذكر عقب شرح كل فصل من فصول هذا الكتاب ما وصل إليه المنطق الحديث فيه ، ووازن بين المنطقين فى كل فصل من هذه الفصول ، فأحدث بهذا تجديداً له قيمته فى شرح الكتب الأزهرية ، وجمع فى كتابه بين المنطق القديم والحديث ، ليكون الطالب على بينة منهما ، وهى طريقة أجدى على الطلاب من قصرهم على دراسة المنطق القديم ، أو على دراسة المنطق الحديث ، وتكاد الجامعة الأزهرية تمتاز بها على سائر الجامعات .

وما أحوج الكتب الأزهرية كلها إلى مثل هذه الطريقة فى الشرح والتجديد ، وفى حسن الطبع والترتيب ، لتلائم حال هذا العصر ، وتجذب إليها نفوس الطلاب ، فيقبلوا على دراستها وتتأثر عقولهم بما تجده فيها من التجديد والترتيب ، وتتهيأ بهذا إلى تجديد أتم ، وتستعد إلى إصلاح أكمل ، ومن سار على الدرب وصل .